نموذج

دورة حياة أمة محمد صلى الله عليه وسلم

أين كنا؟ وأين نحن؟ وأين سنكون؟

صالح عبد الله أحمد وهبان

الطبعة الأولى
2026

ArabBook.Com
مكتبة الكتاب العربي

نموذج دورة حياة أمة محمد ﷺ

أين كُنَّا؟ وأين نحن؟ وأين سنكون؟

صالح عبدالله وهبان

الطبعة الأولى
٢٠٢٦م

ArabBook.Com
مكتبة الكتاب العربي

نموذج دورة حياة أمة محمد ﷺ

أين كُنَّا؟ وأين نحن؟ وأين سنكون؟

صالح عبدالله أحمد وهبان

نموذج دورة حياة أمة محمد ﷺ

أين كُنَّا؟ وأين نحن؟ وأين سنكون؟

الطبعة الأولى - ٢٠٢٦ م

نسخة إليكترونية

رقم الإيداع:

٩٧٩-٨-٢٥٥٦-١٣٨٣-٠

الناشر: مكتبة الكتاب العربي

Saleh Abdullah Ahmed Wahban
The Life Cycle Model of Muhammad's Nation
First Edition – ٢٠٢٦

Electronic Edition

ISBN: ٩٧٩-٨-٢٥٥٦-١٣٨٣-٠

Publisher: ArabBook.Com

ISBN 979-8-2556-1383-0

حقوق النشر

جميع الآراء والأفكار الواردة في هذا الكتاب تُعبّر فقط عن آراء المؤلف
ولا تُعبّر بالضرورة عن آراء ArabBook.Com.

ArabBook.Com. © ٢٠٢٦ جميع حقوق النشر والتصميم محفوظة.
لا يُسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه في أي نظام لاسترجاع
المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، سواء بالتصوير أو التسجيل أو بأي وسيلة إلكترونية
أو ميكانيكية أخرى، دون إذنٍ خطي مسبق من الناشر،
باستثناء الاقتباسات القصيرة في المراجعات النقدية أو الأبحاث الأكاديمية.

وسائل التواصل مع الناشر:
البريد الإلكتروني:
info@arabbook.com

الموقع الإلكتروني:
https://www.arabbook.com

طُبع ونُشر بواسطة ArabBook.Com، ٢٠٢٦م.

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٦م

Copyright Notice

All opinions and ideas expressed in this book are solely those of the author and do not necessarily reflect the views or positions of ArabBook.Com.

© ٢٠٢٦ ArabBook.Com. All rights to publication and design are reserved. No part of this publication may be reproduced, distributed, or transmitted in any form or by any means, including photocopying, recording, or other electronic or mechanical methods, without the prior written permission of the publisher, except in the case of brief quotations embodied in critical reviews or scholarly works.

Contact Information:
Email: info@arabbook.com
Website: https://www.arabbook.com

Printed and published by ArabBook.Com, ٢٠٢٦.

ArabBook.Com
مكتبة الكتاب العربي

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٦م

قال الله تعالى:

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾

(ال عمران: ١٤٠)

مقدمة

الحمد لله الذي أوحى إلى عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم روحا من أمره وجعله نورا يهدي به من يشاء من خلقه، فاللهم لك كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، وأستعين بك رب استعانة من انقطعت به السبل وأُحيطت به الأمواج من كل مكان فأيقن أن لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، ولا حول ولا قوة إلا بك، ولا هداية من الضلال إلا منك، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله.

وبعد:

لقد كانت دراسة صعود الأمم وسقوطها محل اهتمام كثير من الباحثين والعلماء، وقدموا في هذا المجال نظريات ودراسات دقيقة، ونحن بحاجة للبناء على تلك الجهود لكي نطور نموذجا واضحا ومتكاملا لدورة حياة أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وثقتي بالله وتوكلي عليه أن تكون هذه المحاولة مفتاح خير لهذه الأمة المباركة.

والهدف الرئيس لهذه الدراسة هو: بناء نموذج علمي لدورة حياة أمة محمد ﷺ، نستطيع من خلاله:

١. تقديم إطار منطقي وبسيط، يُسهل فهم المراحل المعقدة التي مرت بها أمة محمد صلى الله عليه وسلم خلال تاريخها الطويل.
٢. تحديد المرحلة التي تعيشها أمة محمد ﷺ اليوم لكي تعمل على ترتيب أولوياتها بحسب متطلبات مرحلتها الحالية.
٣. التنبؤ بالمراحل القادمة لأمة محمد ﷺ فتعمل على التخطيط لذلك المستقبل وتنجح في وضع الاستراتيجيات المناسبة.

ولتحقيق هذه الأهداف تكونت الدراسة من ثلاثة فصول رئيسية كالتالي:

الفصل الأول: الإطار النظري للدراسة، وتناولنا فيه تعريف المصطلحات وتحليل النظريات والدراسات السابقة وتحديد الفجوة البحثية التي تغطيها هذه الدراسة وأهم ما يميزها عن غيرها من النظريات.

الفصل الثاني: نموذج دورة حياة أمة محمد ﷺ، وتناولنا فيه التعريف بالفكرة التي تقدمها هذه الدراسة كنموذج لدورة حياة أمة محمد ﷺ وشرحها وتحديد أبعادها مع ذكر خصائص ومتطلبات مراحلها، والبراهين التي تستند عليها.

الفصل الثالث: استخدمنا النموذج الذي تم بناؤه كأداة علمية في وصف الماضي وتحليل الحاضر واستشراف المستقبل، للإجابة على التساؤلات الثلاثة: أين كنا في الماضي؟ وأين نحن اليوم؟ وأين سنكون في المستقبل؟

الفصل الأول: الإطار النظري للدراسة

هذا الفصل خاص بالإطار النظري للدارسة، وقد احتوى على مبحثين:

- المبحث الأول: مصطلحات الدراسة، وتناولنا فيه مفهوم دورة الحياة، ومفهوم الأمة، ومفهوم النموذج، ومفهوم المرحلة، وماذا نقصد بنموذج دورة حياة أمة محمد ﷺ.
- المبحث الثاني: الدراسات والنظريات السابقة، وقد حاولنا تحليل ١٢ نظرية ودراسة، وحددنا الفجوة التي تغطيها هذه الدراسة وأهم ما تتميز به عن باقي الدراسات والنظريات.

المبحث الأول

مصطلحات الدراسة

من المهم تحرير المصطلحات وخاصة عند تقديم نموذج جديد لفهم ظاهرة معينة كحال هذه الدراسة، ولكي نتفادى حدوث سوء الفهم للنموذج الذي نريد تقديمه أو لأي جزئيه من جزئياته، فقد حررنا مصطلحات الدراسة في اللغة وفي الاصطلاح ثم وضعنا تعريف إجرائي هو الذي نقصده في جزئيات النظرية وبالتالي على القارئ فهم النموذج في ضوء هذه التعاريف الإجرائية.

أولا: مفهوم دورة الحياة:

«الدورة هي المرة الواحدة يدورها الشي في زمن معين»(١)، ولفظ الدورة يشير لتكرار الحدوث، وهذا يعني بأن هناك نقطة بداية ثم عودة لنفس النقطة، «ودورة حياة الكائن: سلسلة الأطوار التي يمر بها الكائن منذ الميلاد وحتى الوفاة، ودورة الحياة لأي ظاهره: سلسلة من الأحداث والعمليات المنتظمة التي تهدف إلى نهاية معينة أو العودة إلى حيث بدأت»(٢).

التعريف الإجرائي: ونحن نقصد بدورة حياة الأمة الإسلامية سلسلة التغيرات والمراحل التي تمر خلالها الأمه، وعددها ثمان مراحل تبتدأ باللاوجود وتنتهي بالعودة من جديد لنفس المرحلة في دورة حياة جديده، كما سنوضحه في الفصل الثاني.

ثانيا: مفهوم الامه:

الأمة في اللغة: «مشتقة من الأم بفتح الهمزة وهو القصد أي يؤمون غاية واحدة»(٣)، وهي: « كل جماعة يجمعهم أمر ما، إما دين واحد أو زمن واحد أو مكان واحد، سواء

---

(١) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، جمهورية مصر، ٢٠٢٥م، رابط: https://www.arabicacademy.gov.eg/ar/.

(٢) معجم الرياض للغة العربية المعاصرة، تطبيق إلكتروني رقم الإصدار ٢,٠، الحقوق محفوظة مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية، ٢٠٢٣، رابط:https://dictionary.ksaa.gov.sa/result/

(٣) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية، ١٩٨٤، المجلد ٢، تفسير سورة البقرة أية ٢١٣، صفحة ٣٠٠.

كان ذلك الأمر الواحد تسخيرا أم اختيارا، وجمعها أمم» [٤]، وهي «كيان لديه لغة مشتركة وثقافة وذاكرة أحداث تاريخية ووعي وطني»[٥].

«والمسلمون متفقون على أن أمة محمد ﷺ قسمان: الأول أمة الإجابة والمقصود بها كل من استجاب لدعوة النبي صلى الله علية وسلم، والثاني أمة الدعوة، وتشمل سائر العالم، وأمة الإجابة هي التي نقول عنها: الأمة المسلمة أو أمة الإسلام أو الأمة الإسلامية أو أمة محمد صلى الله علية وسلم أو ما أشبه ذلك، والأمة قد تطلق على معنى محلي كبلد مثل مصر وقد تطلق على معناها القومي كأمة العرب ولكن هذا وذاك يدخل في مسمى الأمة الذي يقصد به الجماعة، غير أن المعنى الذي ينقدح في الذهن عند ذكر لفظ الأمة هو الأمة الإسلامية، وهي المذكورة في القران والسنة والتراث»[٦].

التعريف الإجرائي: الأمة هي جماعة بشرية يحملون رسالة واحده ولهم روابط تضمهم ومنهج ينضم حياتهم وقيادة توحدهم وتدير شئونهم، فهي كيان يضم قوميات واجناس واعراق متعددة، وفي دراستنا نتحدث عن أمتين من الأمم لا يمكن عزل أحدهما عن الأخرى في فهم النموذج، وقد رمزنا لأمة محمد صلى الله عليه وسلم بالرمز (A) وللأمة المقابلة لها بالرمز (B).

ونقصد بالأمه (A): أمة محمد صلى الله عليه وسلم ككيان موحد يحمل رسالة الإسلام، تحت قيادة مسلمة، ومنهج إسلامي، تربطهم الأخوة الإيمانية، وعندما نصف مثلا مرحلة الانهيار في دورة حياتها باللاوجود فالمقصود به لا وجود للأمة بهذا المعنى وإلا فهي موجودة كأفراد وجماعات مسلمة وكمنهج محفوظ، وقد نطلق عليها أمة الإسلام

---

(٤) الراغب الاصفهاني، مفردات القران، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، بتحقيق عدنان صفوان، صفحة ٨٦.

(٥) Targowski, Andrew (٢٠٠٤) "A Grand Model of Civilization," Comparative Civilizations Review: Vol. ٥١ : No. ٥١ , Article ٧. at: https://scholarsarchive.byu.edu/ccr/vol٥١/iss٥١/٧.

(٦) يوسف القرضاوي، الأمة الإسلامية حقيقة لا وهم، كتاب محمل على موقع الشيخ يوسف القرضاوي عبارة عن مقال تم نشره على صحيفة الأهرام، القاهرة سبتمبر ١٩٩٤م، صفحة الكتاب ٣-٦.

وأحيانا الأمة الإسلامية وأحيانا أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأحيانا نشير لها بعبارة هذه الأمة والغالب نستعمل الرمز فنقول الأمة (A).

ونقصد بالأمه (B): الأمة الجاهلية، وهي الأمة المقابلة لأمة الإسلام، وفي كل عصر وجيل لها تسميتها، فعند بعثة النبي صلى الله عليه وسلم كانت أمة العرب هي الأمة الجاهلية (B)، وبعد موته عليه الصلام والسلام كانت أمة الروم وأمة الفرس هي الأمة (B)، وهكذا لكل جيل جاهليته.

ولكي لا يحدث سوء فهم أيضا نوضح بأن لفظ الجاهلية قد نعممه على الفترة التي تكون فيها أمة الإسلام في مرحلة اللاوجود والانهيار وهذا الإطلاق لا يعني عدم وجود أفراد مسلمين أو حتى مجتمعات، لكنه وجود محكوم بمناهج الجاهلية ومنظومتها، وهذا يحدث عندما تكون الأمة الإسلامية كدوائر صغيرة بدون تأثير ضمن دائرة الأمة الجاهلية، أما في باقي المراحل فلكل أمه وصفها الذي يخصها، ثم إن وصف الجاهلية خاص بالأفعال والأعمال التي يمارسها الأفراد والمجموعات والأمم كالصد عن سبيل الله أو الظلم أو العصبية أو الكفر أو الانحراف عن الفطرة أو الاحتيال على المبادئ والقيم أو بطران النعم وغيرها من أعمال الجاهلية، فهي ليست وصفا للأفراد لا تفارقهم، فبعض قادة الجاهلية في عهد النبوة صاروا قادة لأمة الإسلام فيما بعد النبوة، والعرب الذين كانوا أمة جاهليه في مواجهة الأمة الاسلامية عند البعثة صاروا هم أمة الإسلام بعد موته عليه الصلاة والسلام الذين يحملون رايته ويواجهون الأمم الجاهلية الأخرى، فأمة محمد صلى الله عليه سلم ليست عشيرة ولا قبيلة ولا جنس ولا عرق، ولا تختص بجيل من الأجيال ولا عصر من العصور، ولا تحتبس في بوتقة التسميات، بل إن كل من أمن بمحمد صلى الله عليه وسلم واتبع رسالته فهو واحد من هذه الأمة وهو واحد ممن ائتمنهم الله على رسالته لتبليغها وقيادة البشرية بها.

فوصف أمة محمد صلى الله علية وسلم: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﴾ و﴿ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡ ﴾(محمد: ٢-٣)، أينما كانوا وفي أي عصر كانوا، وعلى أي تسمية ظهروا، ومن أي بلد أو عشيرة أو قبيلة أو جنس كانوا ما داموا متحققين بتلك الصفات.

ووصف الأمة الجاهلية: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ و ﴿ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ ﴾ و﴿ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ (محمد: ٩-٣-١)، أينما كانوا وفي أي عصر كانوا، وعلى أي تسمية ظهروا حتى لو تسموا باسم الإسلام وانتسبوا زورا لله أو لنبيه، ومن أي بلد أو عشيرة أو قبيلة أو جنس كانوا، ما داموا متحققين بتلك الصفات.

ثالثا: مفهوم النموذج:

«يشير لفظ النموذج في اللغة إلى النمط أو الشكل أو المثال الذي يحتذى به، وفي الاصطلاح بناء مفاهيمي يبسط الأجزاء المعقدة من الواقع، ويحدد المكونات الرئيسية لموضوع معين، ويوضح العلاقات المتبادلة بين هذه المكونات، ويهدف النموذج إلى الاسترشاد به في الفهم والتحليل والتنبؤ»(٧).

التعريف الإجرائي: ونحن نقصد بنموذج دورة حياة أمة محمد صلى الله عليه وسلم بأنه الإطار المنطقي البسيط الذي بنيناه لفهم المراحل التي مرت بها أمة الإسلام بهدف تحليل ماضيها وحاضرها والتنبؤ بمستقبلها.

(٧) مدحت أبو النصر، نموذج جودة الخدمة، مجلة القاهرة للخدمة الاجتماعية، عدد ٣٠، عام ٢٠١٨م، صفحة ٢-٣.

رابعا: مفهوم المرحلة:

«المرحلة هي المسافة يقطعها السائر في نحو يوم، وتعني كذلك القدر المحدد من العمل، والمرحلة التعليمية هي مستويات التعليم من الروضة حتى الجامعية، ومراحل الإنسان هي فتراته من الطفولة إلى الشيخوخة»[٨].

التعريف الإجرائي: والمرحلة في دورة حياة الأمة هي طور واحد من دورة حياتها، ومجموع تلك المراحل الثمانية تشكل دورة حياة كامله، والمرحلة هي حالة معينة نوصف بها وضع الأمة التي وصلت إليه، لها خصائصها وملامحها ومتطلباتها.

المبحث الثاني

الدراسات والنظريات السابقة

أولا: الدراسات والنظريات السابقة

هناك العديد من النظريات والدراسات التي قدمت اسهامات جوهرية في موضوعنا، منها تلك التي تحكي فترات ومراحل الحضارات كسرد تاريخي مع تناول عوامل السقوط وتحليل الاسباب والنتائج كما فعل المؤرخ الأمريكي ويل ديورانت (١٩٧٥) في كتابه (قصة الحضارة)، ومنها تلك التي اهتمت بدراسة عوامل السقوط والانهيار كما فعل الباحث والمحلل الأسترالي لوك كيمب (٢٠٢٥) في كتابه (لعنة غولياث: تاريخ ومستقبل الانهيار المجتمعي) وكما فعل العالم والمؤرخ جاريد دايموند (٢٠٠٥) في كتابه (الانهيار: كيف تختار المجتمعات الفشل أو النجاح) وكما فعل المفكر الإيراني علي شريعتي (٢٠٠٤) في كتابه (تاريخ الحضارة)، ويدخل في هذا كل الأبحاث والكتابات التي تناولت سنن الله في قيام وسقوط الأمم وعوامل القوة والضعف في التاريخ الإسلامي، ومن الدراسات السابقة أيضا كتابات وأبحاث السيرة النبوية التي قدمت وصفا لمراحل تكوين دولة الإسلام الأولى كما فعل الدكتور منير الغضبان (١٩٩٠) في كتابه (المنهج الحركي للسيرة النبوية)، ومنها

(٨) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، جمهورية مصر، ٢٠٢٥م، رابط: https://www.arabicacademy.gov.eg/ar/

تلك الدراسات التي تطرقت لمراحل حياة الأمم والدول والحضارات والتي قدمت نظريه مكتملة وأسست نموذجا لدورة حياة الأمم، وهذه الأخيرة هي التي سنتطرق لبعضها بنوع من التفصيل:

١- نظرية ابن خلدون (١٣٩٤).

كان أحد أشهر مفكري النظرية الدورية للدول، وقد أُطلق عليه لقب مؤسس علم الاجتماع، كما أثرت أفكاره بشكل كبير على الفلاسفة والعلماء والمفكرين في العالم على مدى القرون الثمانية الماضية [٩]، ويعد كتابه المقدمة أحد أهم المراجع في هذا الموضوع، فهو يرى أن الدول لها أعمار طبيعية كالأشخاص ولها أطوار تمر فيها من النشأة حتى الانهيار ، ويرى بأن الدولة إنما قامت بالعصبية فهي العامل الأساسي في قيام الدولة، وتمر الدولة عبر ثلاثة أجيال لا تتعداها: جيل البداوة وهو الجيل الأول الذي يحقق الغلبة والانتصار للدولة، وجيل الحضارة وهو الجيل الثاني ويبدأ التحول من هذا الجيل حيث تؤثر فيه البيئة فتتغير طباعه وتضعف شدته وهذا الجيل وسط بين الأول والأخير ويحمل صفاته من كلا الجيلين، وجيل الترف وهو الجيل الأخير الذي تسقط في عهده الدولة لانغماسهم في الترف ونسيانهم حياة الشدة والبداوة التي تأسست بها دولتهم، وقد حدد ابن خلدون أعمار كل جيل بأنها لا تتجاوز ٤٠ سنة ومجموعها يساوي ١٢٠ سنة كحد لعمر الدولة على الأغلب، وضمن هذه الأجيال تمر الدولة عبر خمسة أطورا تتنقل فيها من طور إلى اخر وهي [١٠]:

١. طور الغلبة والملك: حيث تنشأ الدولة على أنقاض دولة سابقة لها.
٢. طور الاستبداد بالملك: حيث ينفرد صاحب السلطان بالحكم بعد أن يكون قد تخلَّص ممن اشتركوا معه في تأسيس الدولة.
٣. طور الفراغ والدعة: حيث تزدهر الدولة وتسود الدعة والسكينة.

---

(٩) Murat Onder & Fatih Ulasan, Ibn Khaldun's Cyclical Theory on the Rise and Fall of Sovereign Powers The Case of Ottoman Empire, December ٢٠١٨, DOI: ١٠,٣١٦٧٩/adamakademi.٤٥٣٩٤٤٠.

(١٠) عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار ومكتبة الهلال بيروت، الطبعة الأخيرة، ٢٠٠٠م، صفحة ١١٨-١٣٠.

٤. طور السكون والمسالمة: حيث يقنع صاحب الملك بما قدمه سابقيه ولا يخرج عن نهجهم لاعتقاده بأن فيه فساد الحال.

٥. طور الاسراف والتبذير: حيث تفقد الدولة هيبتها فتتحلل وتزول نتيجة الفساد.

لقد كانت نظرية ابن خلدون نقطة تحول في دراسة التاريخ حيث تحولت دراسة التاريخ من مجرد سرد للأحداث وحكايات للتسلي إلى التحليل والبحث عن القوانين التي تحكم الظواهر الاجتماعية، وتميزت باعتمادها على المنهج العلمي كالمنهج المقارن والمنهج الاستقرائي لا على التخمين أو الاساطير، ورغم أن أغلب من أتى بعده هم امتدادا لهذه النظرية، إلا أن مما يؤخذ عليها هو تفسيره لسقوط الدولة بعوامل داخلية تخص الدولة وإغفاله العوامل الخارجية، وكذلك تحديده الزمني لعمر الدولة ب ١٢٠ عام، هذا التحديد قد ينطبق على فترات معينة لقبائل أو دول معينة لكنه لا يمكن أن ينطبق على أمم كبيرة كالدولة العثمانية مثلا، أيضا اعتماده الحتمية في تعاقب المراحل قد لا ينطبق على جميع الدول، ومع هذا رغم محدوديتها إلا أنها لا تزال نظرية مهمه في فهم دورة حياة الدول.

٢- دراسة جيامباتيستا فيكو (١٧٤٤).

حاول الفيلسوف الإيطالي فيكو تفسير نشأة المجتمعات ودورة حياتها في كتابة (العلم الجديد)، فهو يرى بأن التاريخ يسير بحركة لولبية متقدما، والمجتمعات والأمم تمر بدورة طبيعية متعاقبة في ثلاث مراحل:

١. المرحلة اللاهوتية: حيث يسيطر الدين ورجال الدين على النظم وشئون الدولة.

٢. مرحلة البطولة: حيث يظهر أبطال لهم قدرات تجعلهم محل تقدير فيصفونهم بصفات الالهة وهم من يساهمون في تقوية الدولة.

٣. مرحلة البشرية: حيث تتأسس دولة القانون وتحقق المساواة وهذه هي المرحلة الأكثر تطورا.

تتقاطع فلسفة فيكو مع نظرية ابن خلدون في كون المجتمعات تمر بمراحل في حركة لولبية تتضمن التجديد مما يجعله من أوائل من كتبوا عن فكرة دورة حياة المجتمعات في الفكر

الغربي، ويظهر أنه كان متأثرا جدا بالتاريخ اليهودي فقد اعتبر أن تاريخ العهد القديم هو الحضارة والابداع، وحاول أن يقلل من شأن الحضارات الشرقية، وقد اعترف بأنه أخذ هذه الفكرة من التقسيم المصري الذي كان يقسم التاريخ لثلاثة أدوار: دور الألهة، ودور الأبطال، ودور البشر [١١].

لقد صاغ فيكو فكرته معتمدا على الأساطير واللغة والشعر القديم وان حاول إضفاء الجانب العلمي عليها مما يجعلها نظرية غامضة غير كافية لتفسير دورة حياة الأمم، كما أنها لا تنطبق على باقي الأمم لأنها مجرد تصور يعكس تجربة عصور محدده.

٣- نظرية ألكسندر تايتلر (١٨١٣).

تُعرف هذه النظرية باسم دورة تايتلر، ومع أنه لا يوجد نص أصلي موثّق من كتب تايتلر يشير إلى هذه النظرية إلا أنها ظهرت لأول مرة في خطاب ألقاه (إتش دبليو برنتيس) الرئيس السابق للجمعية الوطنية للمصنعين عام ١٩٤٣، كما نُشر كنص خطاب ألقاه برنتيس أيضا في اجتماع الجمعية العامة لخريجي جامعة بنسلفانيا في فبراير ١٩٤٣، في الواقع يتألف النص من جزأين لم يظهرا معًا إلا في سبعينيات القرن العشرين، كان أول ظهور معروف للفقرة الأولى في مقال رأي كتبه (إلمرت بيترسون) في صحيفة ديلي أوكلاهومان بتاريخ ٩ ديسمبر ١٩٥١، ونسبته إلى تايتلر[١٢]، هذه النظرية توضح كيف تنتقل المجتمعات في ثمان مراحل في دورة متكررة، وقد أشار إلى هذه المراحل تيد فلين في كتابه التحول العظيم [١٣]:

١. من العبودية إلى الإيمان الروحي: في هذه المرحلة، يكون السكان في حالة عبودية لحاكم أو دكتاتور، ويتجاوزوا هذه المعاناة بالتحول إلى النمو الروحي حيث ينشأ انضباطا روحيا يسعى للعدل وإيجاد الحلول.

(١١) شريف بن زينب، أبعاد فلسفة التاريخ عند جامباتيستا فيكو، مجلة مقاربات فلسفية، المجلد ٨، العدد ١، عام ٢٠٢١م، صفحة ٣٧٦-٣٨٥.
(١٢) *S. Tomalin*, Tytler's Cycle, In-Between Two Worlds, ١٨ May ٢٠١٤, https://www.in-between.org.uk.
(١٣) Msgr. Charles Pope, the eight stages of the rise and fall of civilizations, on Community in Mission, ١٢ oct ٢٠١٦, https://catholicconvert.com/the-eight-stages-of-the-rise-and-fall-of-civilizations/.

٢. من الإيمان الروحي إلى الشجاعة العظيمة: بعد أن صقلت النفوس في بوتقة المعاناة تبرز الشجاعة والقدرة على تحمل التضحيات حيث يظهر قادة، ويتم دعوة الناس إلى الشجاعة والتضحية لخلق عالم أفضل وأكثر عدلاً.

٣. من الشجاعة إلى الحرية: نتيجة للكفاح الشجاع يتم دحر العدو وتظهر الحرية والعدالة وتبرز حضارة متجذرة في أعلى مُثُلها، في هذه المرحلة لا يزال العديد من القادة الذين قادوا المعركة على قيد الحياة، ولا يزال إرث الذين رحلوا حاضرًا ولا تزال البطولة والفضائل التي أدت إلى الحرية تحظى بالتقدير.

٤. من الحرية إلى الوفرة: تؤدي الحرية إلى ازدهار أكبر حيث تستمر الحضارة في العمل بفضائل التضحية والعمل الجاد، ولكن يظهر الخطر الأول وهو الوفرة، فعندما تكون الأشياء متوفرة بكثرة فإنها تميل إلى أن تثقل كاهلنا ويصبح الناس أقل استعدادًا لتقديم التضحيات، وتقل أهمية المُثُل وتثقل الوفرة أرواح المواطنين.

٥. من الوفرة إلى الرضا عن النفس: الرضا يجعل الناس غير مدركين للاتجاهات الخطيرة التي تقوض القدرة على الازدهار، فتبدأ الأسس والموارد والفضائل تتفكك، ويتم وصف الذين يدقون ناقوس الخطر من قبل الراضين عن النفس بأنهم مفسدون للفرح ومتطرفون.

٦. من الرضا عن النفس إلى اللامبالاة: بسبب الرضا عن النفس ينقص الاهتمام أو الشغف بالأشياء ويتطور إلى رفض تام، وفي هذه المرحلة نادرًا ما يفكر الكثيرون في تضحيات الأجيال السابقة أو يهتمون بها، ويفقدون الشعور بضرورة العمل والمساهمة في الصالح العام.

٧. من اللامبالاة إلى الاعتماد: يزداد عدد الأشخاص الذين يفتقرون إلى الفضائل والحماس الضروريين للعمل والمساهمة، ومع تزايد صعوبة الانضباط والعمل يزداد الاعتماد على الأخرين، حيث تميل الثقافة الجماعية نحو الاعتماد على الحلول الحكومية.

٨. من الاعتماد إلى العبودية: مع زيادة الاعتماد عل السلطة تزداد المركزية، وبزيادة المركزية ينشأ الظلم والاستبداد، وبهذه الطريقة تنتهي الحضارة تدريجيًا ولأن الناس تعودوا الاعتماد على الاخرين فلم يعد لديهم الفضائل الضرورية للقتال، وبالتالي يعودوا للعبودية من جديد، وهناك احتمال آخر هو أن تتمكن أمة أو مجموعة أكثر قوة عن طريق الغزو، فتدمر آخر بقايا الحضارة المنحلة واستبدالها بثقافتها الخاصة.

على الرغم من أن الفكرة وردت كما يبدو في سياق وعظي تحذيري أكثر من كونها صياغة لنموذج دورة حياة، إلا أنه ومع هذا تكاد تكون النظرية الوحيدة التي تطرقت لارتباط الأمة (A) بالأمة (B) في أغلب المراحل، فمثلا لفظ العبودية يوحي بوجود أمة لم توجد بعد فهي لا تزال تعيش حالة عبودية تحت منظومة الأمة الأخرى القوية، ولفظ الايمان الروحي يتطابق مع وصفنا للمرحلة الثانية بالبعثة وبنفس خصائص المرحلة، ولفظ الشجاعة يتطابق مع وصفنا للمرحلة الثالثة بالظهور، ولفظ الحرية يتطابق مع وصفنا للمرحلة الرابعة بالاستقلال، وهكذا فهذه النظرية تؤسس لدورة حياة لأمة جديدة خرجت من بطن أمة أخرى ومرتبطة معها في أغلب مراحلها، ثم إنها تتطابق مع دراستنا في عدد المراحل مع وجود اختلاف جوهري في خصائص المراحل الاخيرة، والذي يؤخذ على هذه النظرية هو أن صياغتها توحي بدورة مغلقة وكأن الانتقال من مرحلة إلى أخرى حتمي، وبالتالي فهي لم تشير بوجود خيارات مع الأمة تمكنها من اختيار مسارها بل هي مضطرة للمرور عبر تلك المراحل بالتعاقب، ومع أن صياغتها قابل للتعميم على كل الأمم إلا أنها غالبا ما تطرح في الكنيسة مما يغلب اختصاصها بالأمة المسيحية وهذا لا يقلل من أهميتها بقدر ما يعطينا الفرق بينها وبين دراستنا حيث تختص دراستنا بوضع نموذج لدورة حياة الأمة الإسلامية.

٤- نظرية أوزوالد اشبينغلر (١٩٢٣).

يرى المؤرخ الالماني اشبينغلر في كتابة (انحدار الغرب) أن الحضارات تتبع دورة حياة عضوية تشبه دورة الكائن الحي، حيث أن كل حضارة تمر بنفس مراحل العمر التي يمر بها الفرد الإنسان، فلكل حضارة طفولتها وشبابها وكهولتها وشيخوختها، كما شبه هذه الدورة بتعاقب فصول السنة، إذ كل حضارة تمر بدورة كاملة تشمل أربع مراحل رئيسية هي: الربيع والصيف والخريف والشتاء، فربيع الحضارة يمثل طفولتها، وصيفها يمثل شبابها، وخريفها يمثل كهولتها، وشتاءها يمثل شيخوختها، والعمر الافتراضي للدورة الواحدة يبلغ قرابة الألف عام، وعلى الرغم من أن كتابه ركز على تشخيص حالة الحضارة الغربية إلا أنه وضع نظريته لتعمم على جميع الحضارات العظمى، فهو يعتقد أن الحضارات لها دورة حياة طبيعية، وأن الغرب لن يكون استثناء من هذا القانون (١٤).

وعلى الرغم من أن هذه النظرية تعتبر مصدر إلهام للفلاسفة والباحثين ممن أتى بعد اشبينغلر، إلا أن البعض يرى بأنها تحمل نظرة تشاؤمية، فهي ترى بحتمية السقوط وعدم إمكانية التجدد فكما أنه يستحيل ارجاع الشباب للكائنات فيستحيل كذلك أن تشهد الحضارة ميلادا جديدا، ثم أيضا تبنت هذه النظرية فكرة القطيعة بين الحضارات فهي لا ترى بوجود أي ارتباط أو تأثير بين حضارة وأخرى بل تتصور الحضارات كدوائر مستقله عن بعضها وكل حضارة منغلقة على نفسها، وتبنت أيضا التحديد الزمني للدورة، فعمر أي حضارة من الولادة وحتى الانهيار يستغرق ١٠٠٠ عام، ومن خلال ما كتبه اشبينغلر يتضح أن النظرية تنطبق بشكل أساسي على الجانب الحضاري ككيان ثقافي وحيوي للأمه وليس على الأمم بالمعنى الذي نقصده في دراستنا.

٥- نظرية بيتريم سوروكين (١٩٣٧).

تتلخص نظرية عالم الاجتماع سوروكين في كتابه الديناميات الاجتماعية والثقافية في أن الحضارات تتناوب بين ثلاث عقليات ثقافية: الفكرية وتعبر عن الاحتياجات الروحية،

(١٤) جمال بروال، نظرية الحضارة في فلسفة شبنجلر، مجلة دفاتر الخير، المجلد ١٧، العدد ١، عام ٢٠٢٢م، صفحة ٤٣٤- ٤٥٣.

والمثالية وهي مرحلة التوازن بين الاحتياجات والغايات، والحسية وتعبر عن اللذة الجسدية الخمر والنساء والغناء(١٥).

فمراحل دورة حياة الحضارة عند سوروكين تمر عبر ثلاث أنماط كالتالي(١٦):

١. النسق الروحي: الحقيقة في هذه المرحلة روحية تهتم بالبحث عن الخلاص الداخلي والتقرب للمطلق.
٢. النسق المثالي: الحقيقة توليفة متوازنة بين الايمان الروحي والحواس حيث يتم إدراك الحقيقة عن طريق العقل والتجربة الروحية، وهي مرحلة وسط ومزدهرة يجتمع فيها أفضل ما في النسق الأول والأخير مع توازن بينهما.
٣. النسق الحسي: الحقيقة حسية تدرك عن طريق الحواس وفي هذه المرحلة تزدهر الأنشطة الاقتصادية والعلمية خلال الفترة النشطة من هذه المرحلة أما في الفترة السلبية فيتم التركيز على اللذة الجسدية، ويؤدي التطور المفرط في هذا النسق إلى الفوضى والاضطرابات.

كان سوروكين مقتنعاً من خلال المسح الذي أجراه لتاريخ العالم بأن كل أنواع التجمعات الثقافية التي عرفتها البشرية هي تنويعات فرعية للذهنيات الثلاث الرئيسة التي تتبع الواحدة منها الأخرى في تعاقب متسلسل: المادية الحسية تليها المعنوية الروحانية ثم المثالية الغائية، وبعد إتمام هذه الدورة فإن عودة الحالة الأولى (الحسية المادية) ستفتتح دورة جديدة، وبحسب سوروكين فإن الغرب قد أتم منذ مرحلة اليونانيين وثقافتهم الحسية دورتين من هذه السلسلة التعاقبية وأنه يعيش في نهاية مرحلة الثقافة الحسية التي دامت لمئات من السنين وآذنت إلى الأفول(١٧).

---

(١٥) Michael Haupt, The Cycle of Civilization Showing Defining Characteristics for Each Phase of the Cycle, on medium, Oct ١١, ٢٠٢٢, https://medium.com/society٤/the-cycle-of-civilization-٩f٩٦b٩٤٥٣c٨٩.

(١٦) Pitirim Sorokin, Social and Cultural Dynamics, https://archive.org/details/socialculturaldy٠٠٠١soro.

(١٧) by Pitirim A. Sorokin *Social and Cultural Dynamics* (revised and abridged in one volume by the author, Transaction Books: New Brunswick, ١٩٥٧, ١٩٨٥; originally published in four volumes, I-III, ١٩٣٧; IV, ١٩٤١).

على الرغم من أن هذه المراحل سماها الأنساق الثقافية وكأنها تعبر عن الجانب الحضاري والثقافي للمجتمع إلا أن سوروكين لم يقصد بلفظ الثقافة مجرد الفنون والثقافة بل يعتبر الثقافة هي الجوهر وباقي مكونات المجتمع (السياسية والقانونية والاقتصاد وغيرها) هي انعكاس للنسق الثقافي، فالحضارة عند سوروكين مجالا ثقافيا يتضمن مجموعة كبيرة من الأنظمة والتجمعات، وهذا يعني أن هذه النظرية تنطبق على المجتمعات والأمم، والذي تختلف به مع نظريتنا هو أنها لا ترى بوجود خيارات للمجتمع يمكنه من خلالها أن يحدد مساره، فالأنساق الثقافية عند سوروكين لها حدود لا يمكن أن تستمر إلى الأبد، فعاجلا أم اجلا يستنفذ إبداعه ويبدأ في التضاؤل.

٦- نظرية أرنولد توينبي (١٩٥٧).

يرى المؤرخ البريطاني توينبي في كتابه دراسة التاريخ بأن نشأة الحضارة لا ترجع لعامل العرق ولا للبيئة الجغرافية، ولكن إلى مزيج من وجود أقلية مبدعة وبيئة ملائمة، فولادة الحضارة كان نتيجة تفاعل بين التحدي والاستجابة، فالبيئة تتحدى والأقلية المبدعة تستجيب، ويستمر نمو الحضارة طالما بقيت الأقلية المبدعة على تقديم استجابة ناجحة، ويشير توينبي إلى أن الانحدار لا يرجع لعوامل خارجية بقدر ما يرجع إلى فشل تقديم الاستجابة للتحديات، فأثناء التفكك تحاول الحضارة الرد على التحديات مرارا لكنها تفشل، ولأن التحديات تظل مستمرة مع استمرار فشل الاستجابة فإن توينبي يحكم على الحضارة بالانتحار، وبالتالي يمكن صياغة مراحل دورة حياة الحضارة في أربع مراحل: النشأة ثم النمو ثم الانهيار ثم التفكك (١٨).

على الرغم من الإبداع الذي قدمه توينبي في نظرية التحدي والاستجابة، من حيث وضوح ارتباط الحضارة الناشئة بالحضارة المنهارة وإمكانية تكرار الدورة عند توفر الاستجابة وكون المراحل استجابة للتحديات وليست حتمية كمراحل الكائن الحي وبهذا تكون هذه النظرية واحدة ممن تطرقت لوجود خيارات تحدد مسار الانتقال بين المراحل، ومن حيث إمكانية

(١٨) بيتريم سوروكن، ترجمة: عارف فضل، مقال بعنوان: فلسفة التاريخ عند أرنولد توينبي، موقع كلمة مليار، بتاريخ: ٢٢ سبتمبر ٢٠٢٥، رابط: https://miliar.org/word-pedia/٣٤١٥٥/

استخدامها في التحليل والتنبؤ، إلا أنها قد لا تنطبق على الأمة الإسلامية، فهي «لا تصلح لتفسير نشأة الحضارة الإسلامية لا في نسختها الأولى ولا في محاولات الإحياء والتجديد المتكررة عبر العصور، فالإسلام لم يبدأ من تحديات واقعية استجاب لها بما يناسبها، بل برسالة من الله» (١٩).

٧- دراسة كارول كويجلي (١٩٦١).

قدم المؤرخ كويجلي في كتابه تطور الحضارات نموذجا من سبع مراحل للحضارة(٢٠):

١. المزج والاختلاط: فترة اختلاط الشعوب والثقافات نتيجة انهيار الحضارة القديمة.
٢. التكون أو الحضانة: فيها تبنى الأفكار والهياكل الاجتماعية وتتطور فيها أداة التوسع استعدادا للانطلاق.
٣. التوسع: النمو الحقيقي المدفوع بأداة التوسع العسكري والديني والاقتصادي.
٤. الصراع الداخلي: تكثر الحروب ويتزايد التوتر الداخلي.
٥. الإمبراطورية العالمية: تتشكل كيانات واسعه وموحدة عن طريق القوة وهذه قمة النمو.
٦. التدهور والانحلال: حروب أهلية وانكماش اقتصادي.
٧. الغزو: تتعرض الحضارة بعد ضعفها للغزو.

لقد أشار كويجلي بوضوح للمرحلة الأولى في دورة الحياة وسماها (الاختلاط) كمرحلة تكون فيها الحضارة غير موجودة بشكل مستقل، حيث تتشابه هذه المرحلة مع نظرية ألكسندر في تسميته لها بمرحلة (العبودية)، في حين أن أغلب النظريات بدأت دورة الحياة فيها من مرحلة النشأة أو التكون ولم تتطرق لما قبل النشأة وهي المرحلة التي سميناها في دراستنا باللاوجود، والذي يلاحظ على نظرية كويجلي هو أنه جعل الإمبراطورية مرحلة مستقلة على مرحلة التوسع، ثم هو أيضا جعل مرحلة الصراع الداخلي سابقه لمرحلة الإمبراطورية

(١٩) محمد جلال القصاص، مقال بعنوان نظرية أرنولد توينبي لا تصلح، موقع جريدة الامه، بتاريخ: ١٣ يونيو ٢٠٢٤، رابط: https://alomah.net//.
(٢٠) Alfred Skorupka, Reflections around the theory of Western civilization, by Carroll Quigley, DOI: ١٠,٥٦٠٤/٠١,٣٠٠١,٠٠١٢,٧٦٠٢

مع أن الإمبراطورية العالمية لا تصل لها الأمة إلا من خلال الاستقرار وليس بعد مرحلة من الاضطرابات والصراعات الداخلية.

٨-نظرية ماثيو ميلكو (١٩٦٩).

حدد ماثيو ميلكو في كتابه طبيعة الحضارات بعض عناصر النموذج الأساسي للحضارات مثل مكوناتها (النظرة الجمالية والمجتمع والاقتصاد والحكومة والدولية)، والمراحل التنموية التي يمكن أن تمر بها (التبلور، الانتقال، التفكك الكامل، والتجمد)، وحدد ثلاث مراحل كلية لدورة الحضارة: النظام الإقطاعي ونظام الدولة والنظام الإمبراطوري، ويعتقد أن الحضارات ثقافات كبيرة ومعقدة يمكنها التحكم في بيئاتها، وتتمثل مساهمته القوية في تقديم نموذج مثير للاهتمام للتطور الحضاري من خلال الثلاث المراحل الكلية[٢١].

لا يركز مليكو على مسار يبدأ بالصعود وينتهي بالانهيار، فالحضارة تنتقل في دورتها من النظام الاقطاعي إلى الدولة ثم إلى الإمبراطورية، وهذه الأطوار هي وصف للشكل التنظيمي والاجتماعي، وقد تأخذ الحضارة في مرحلتها الأخيرة إما شكل التفكك الكامل وهو الانهيار أو شكل التجمد وهو حالة من الاستقرار المتجمد، لم يحدد ميلكو أي حضارة من الحضارات لكنه أسس نظريته بالاستقراء معتمدا على دراسات سابقة كدراسة توينبي واشبينغلر وكويجلي.

٩-نظرية مالك بن نبي (١٩٧٣).

قدم الفيلسوف الجزائري في القرن العشرين نظرية متكاملة لدورة حياة الحضارة في كتابه (شروط النهضة)، فهو يرى أن الحضارة تفاعل بين الإنسان والتراب والوقت وهي تمر عبر ثلاث مراحل رئيسيه [٢٢]:

---

(٢١) Targowski, Andrew (٢٠٠٤) "A Grand Model of Civilization," Comparative Civilizations Review: Vol. ٥١ : No. ٥١ , Article ٧. at: https://scholarsarchive.byu.edu/ccr/vol٥١/iss٥١/٧

(٢٢) مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عبدالصبور شاهين، بإشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر للطباعة والتوزيع، سوريا دمشق، ١٩٨٦.

١. مرحلة الروح: وهي مرحلة البداية وتسـود فيها الفكرة الدينية، وتنظم الغرائز تحت سلطة الروح وتكون العلاقات الاجتماعية متماسكة.
٢. مرحلة العقل: وفيها يكون النضج حيث تظهر الإنجازات العلمية والتقنية وتتوسع دائرة التأثير الحضـاري، ويصـبح العقل هو القوة المنظمة للمجتمع ولكنه لا يملك سلطه كافية على الغرائز.
٣. مرحلة الغريزة: وهي مرحلة الانحطاط حيث تسـود النزعة المادية وتتلاشـى النزعة الايمانية وتسيطر الغرائز على الروح وهذا يؤدي للانهيار.

ويرى بأن روح الحضـــارة هي الفكرة الدينية كعامل محفز ومهيمن على الثلاث المراحل، وأن دورة الحضـارة قابلة للتكرار لأنها نتاج الانسـان والتراب والوقت، فالمجتمع إذا تمكن من توليد الفكرة الدينية يمكنه الخروج من الانحدار والبدء من جديد في دورة حياة حضارية جديدة (٢٣).

بالرغم من التشابه في كثير من الأبعاد في نظرية مالك بن نبي مع النموذج الذي وضعناه، إلا أنها تتعلق بالجانب الحضـــاري والذي يعتبر كنتاج للأمة، وبالتالي قد لا تنطبق على الأمة بمعناها الذي نقصده في نظريتنا، ومما يؤخذ عليه عدم إشارته لوجود علاقة وارتباط مع الحضارة المقابلة في مراحل الدورة.

١٠- دراسة غلوب باشا (١٩٧٨).

قام الضابط البريطاني جون باغوت غلوب المعروف باسم غلوب باشا في كتابه الذي بعنوان: (مصير الإمبراطوريات والبحث عن البقاء) بدراسة الإمبراطوريات التي انهارت في الماضي ولاحظ أن من أهم عوامل الانهيار هو: تفشي الانحلال الجنسي الذي يسبب انهيار الأسر، وازدياد اللهو حيث ينشغل الناس بالكحول والمخدرات والترف هروبا من الحياة، وتدفق المهاجرين الأجانب للمدن مما يثير الصراعات العرقية، وتوسيع برامج الرعاية الحكومية، كما فعلت روما بخبزها وملاهيها ليبقى الشعب راضيا، ويرى غلوب بأن تلك

(٢٣) مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عبدالصبور شاهين، بإشراق ندوة مالك بن نبي، دار الفكر للطباعة والتوزيع، سوريا دمشق، ١٩٨٦.

الامبراطوريات قد مرت بتحولات ثقافية متشابهة خلال دورة حياتها، عبر سلسلة من المراحل التي قد تتداخل أحياناً، وقد عمم بأن للإمبراطوريات سبع مراحل هي [٢٤]:

١. مرحلة الانبعاث (أو الرواد): وهي التي تتأسس فيها قيم المغامرة والفروسية.
٢. مرحلة الفتوحات: حيث تدفع قيم المغامرة والفروسية إلى التوسع واحتلال أراضي الآخرين.
٣. مرحلة التجارة: يسيطر التجار ورجال الأعمال الذين يهتمون بالنجاح المادي ويكرهون المخاطرة.
٤. مرحلة الثراء: في هذه المرحلة يتم إضعاف شأن قيم الجندي بسبب ضعف الشعور بالواجب لدى المواطنين وزيادة الأنانية المتمثلة في الرغبة في الثروة والراحة، فخلال هذه المراحل الوسطى، تتوقف الإمبراطوريات عن احتلال المزيد من الأراضي وتبدأ ببناء الأسوار وتنتقل من الهجوم إلى الدفاع.
٥. مرحلة الفكر والعلم: فالثروة تقود إلى الفكر فينفق القادة أموالاً طائلة لتأسيس مؤسسات تعليمية
٦. مرحلة الترف والانحلال: في مرحلة الفكر قد تنتج المدارس مثقفين متشككين يعارضون القيم والمعتقدات الدينية التي تبناها قادة الإمبراطورية الأوائل. كما قد تُدرّس موضوعات غير نافعة عملياً، مثلما حدث في روما، حيث تحوّل التعليم من غرس الفضيلة إلى تعليم الخطابة التي لا قيمة عمليه لها كثيرا.
٧. مرحلة التراجع والانهيار: فالنجاح المادي والعلمي المتحقق خلال الخمس المراحل يغري الطبقات العليا والعامة بالتخلي عن القيم التي أسست الإمبراطورية، مثل الانضباط والتضحية فتنهار الإمبراطورية، إما بفعل قوة خارجية كما حدث لروما، أو بفعل قوة داخلية نشطة كالمصلحين المؤيدين للرأسمالية في الاتحاد السوفييتي.

(٢٤) Eric Snow, The Life Cycles of Empires: Lessons for America Today, on UNITED CHURCH Of GOD, ٦-٢٠١١, https://www.ucg.org/good-news/good-news-magazine-july-august-٢٠١١/life-cycles-empires-lessons-america-today

هذه الدراسة قدمت نموذجا لدورة حياة الإمبراطوريات كسلسلة مراحل متعاقبة حتميا، فكل مرحلة تعقبها الذي بعدها، ويرى غلوب بأنه غالبا ما تستمر الدورة للإمبراطورية العظمى حوالي ٢٥٠عاما، في حين أن النموذج الذي وضعناه يفترض بأن الإمبراطورية تمتلك خيارات يمكنها من تحديد مساراتها وبالتالي فالتعاقب التسلسلي ليس حتميا لأن الواقع قد يفرض خيارات أخرى، أيضا مراحل الدورة لا يمكن تحديدها بزمن معين لأن الذي يحدد مدة تلك المراحل هو استيفاء متطلبات تلك المراحل وعوامل داخلية وأخرى خارجية.

١١- نظرية جوزيف تاينتر (١٩٨٨).

يقدم عالم الانثروبولوجيا تاينتر في كتابه انهيار المجتمعات المعقدة نظرية جمعت بين التاريخ والإطار التحليلي وبطريقة مقنعه، حيث يرى بأن هناك ألية بسيطة وعامة تقضي إلى انهيار المجتمعات المعقدة وهي: تراجع العوائد الحدية للتعقيد، فبمرور الوقت تتضاءل فوائد التعقيد وتزداد تكاليفه، فعند حدوث هذا تصبح المجتمعات عرضة للانهيار لعدم وجود احتياطات كافية للتعامل مع الصدمات وكذلك لتحمل قطاعات من المجتمع حصة غير متناسبة من تكلفة مقاومة التعقيد، ويقدم تاينتر عدة أسباب لتراجع فوائد التعقيد مع مرور الوقت وارتفاع تكاليفه منها: زيادة تعقيد الإجراءات والقوانين واللوائح، ويشير تاينتر بأن العديد من المجتمعات لا تنهار ولكنها ببساطة تدخل في انحدار طويل ثم تسيطر عليها مجتمعات أخرى ويعتقد بأن هذا سيناريو محتمل للعديد من المجتمعات اليوم بحكم أنها محاطة بالعديد من المجتمعات المعقدة [٢٥].

وفكرة الكتاب الأساسية هي أن المجتمعات كثيرة التعقيد تتطلب استثمارات كبيرة لمعالجة المشكلات الناتجة عن زيادة التعقيد، وعند زيادة الاستثمارات تبدأ الفوائد بالتناقص ويصبح حل المشكلات أكثر كلفة، وعندما تصبح الاستثمارات غير فعاله لزيادة كلفتها

(٢٥) Albert Wenge, Joseph Tainter: The Collapse of Complex Societies Book Review, on continuations, ٣٠ may ٢٠٢٢, https://continuations.com/joseph-tainter-the-collapse-of-complex-societies-book-review

وتضـــاؤل فوائدها فإن الانهيار هو الطريق الوحيد لاســـتعادة التوازن والتقليل من تعقيد المجتمع.

من الواضـــح أن هـذه النظرية بقـدر مـا هي جـديرة بالاهتمـام في فهم عوامـل انهيـار المجتمعات الكبيرة كـالإمبراطوريات إلا أنها لا تقـدم نموذجـا لـدورة حيـاة متكـاملة لتلك المجتمعات.

١٢- دراسة بيتر وجون رابلي (٢٠٢٣).

استكشف المؤرخ بيتر هيذر وعالم الاقتصادي السياسي جون رابلي في كتابهما المنشور عام ٢٠٢٣ والذي طبعته جامعة ييل تحت عنوان: (لماذا تسقط الإمبراطوريات: روما وأمريكا ومستقبل الغرب)، الذي يقع في ٢٠٠ صفحة، أوجه التشابه والخلاف بين روما القديمة والغرب الحديث(٢٦)، حيث يرى الباحثان بأن القوى العالمية الحديثة بما فيها الولايات المتحدة تشهد ظروفا مشابهة لتلك التي شهدتها الإمبراطورية الرومانية(٢٧)، كالتهديدات الخارجية، التآكل الداخلي، والتكاليف الباهظة، وسوء الإدارة الاقتصادية (٢٨)، وسياسة فرق تسد تجاه الدول التابعة، والضم بالقوة، كل هذه العوامل أصبحت اليوم شائعة لدى القوى الاستعمارية الحديثة(٢٩)، وناقش الكتاب كيف أن تلك العوامل تعتبر تهديدا للاستقرار إذا لم يتم إدارة الوضع بحكمة (٣٠)، ومن أبرز التوصيات التي قدمها الكتاب للقيادة الغربية لتجنب مصير روما هو أنه لا يمكن استعادة التفوق الزمني تماما كما كان، لكن يمكن إعادة صياغة النظام العالمي ليكون أكثر توازنًا مع القوى الصاعدة (٣١).

---

(٢٦) المحرر، روما وأمريكا ومستقبل الغرب: لماذا تسقط الإمبراطوريات؟، موقع اواصر للثقافة والفكر والحوار، ٢٤ فبراير ٢٠٢٤م، رابط: https://www.awaser.net/.

(٢٧) محمد الخولي، عن صعود وسقوط الامبراطوريات، مجلة البيان، ٢٥ مايو ٢٠٠٥م، رابط:https://www.albayan.ae/opinions

(٢٨) فواز بن حمد الفواز، لماذا تسقط الامبراطوريات؟، موقع ايلاف، ٢٨ نوفمبر ٢٠٢٣، رابط: https://elaph.com/Web/NewsPapers/

(٢٩) وفاء الساعدي، رزق الله الساعدي، سياسة روما تجاه الدولة السلوقية، موقع:Al-Mukhtar Journal of Social Sciences ، ٢٨ May ٢٠٢٤، https://www.semanticscholar.org/

(٣٠) Peter Heather and John Rapley, Why Empires Fall America, and the Future of the West, ٣١ December ٢٠٢٣, DOI: https://doi.org/١٠,١٢٩٨٧/٩٧٨٠٣٠٠٢٧٥٣٨٤.

(٣١) G.John Ikenberry, Why Empires Fall: Rome, America, and the Future of the West, on Foreign Affairs, December ١٢, ٢٠٢٣، رابط: https://www.foreignaffairs.com/.

من الملاحظ أن هذه الدراسة لا تقدم نموذجًا تفصيليًا لمراحل دورة حياة الإمبراطوريات، ولكنها تركز على الكشف عن أوجه التشابه في أنماط الصعود والهبوط والعوامل التي تؤدي إلى التدهور بين روما القديمة والغرب الحديث.

ثانيا: تحليل الدراسات والنظريات السابقة

١. بعض تلك الدراسات ركزت على العوامل التي تساهم في سقوط الأمم أكثر من تركيزها على بناء نظرية متكاملة لدورة حياة الأمم، وهذه عملية أشـــبه ما تكون بفحص ســـيارة معطلة لفهم مواطن الخلل دون فهم مراحل بنائها ودورة حياة صناعتها.

٢. بعض تلـك النظريات ركزت على الجـانـب الحضـــاري وليس على الأمم أو المجتمعات بالمعنى الذي نقصـــده في هذه الدراســـة، فهناك فرق بين الأمه وبين الحضـــارة التي هي إنتاج متراكم للأمه، فتلك النظريات تختص بالناتج الفكري والثقافي والمادي المتراكم للأمم وليست نظرية لدورة حياة الأمم، فالأمم أحيانا قد تكون في مرحلة الانهيار ولكنها لا تزال مؤثرة حضـــاريا، وهـذه واحـدة من الفجوات البحثية التي ستغطيها هذه الدراسة.

٣. نظرية العصـــبية التي قدمها ابن خلدون قد تنطبق على القبائل والعصـــبيات المتدافعة داخل الأمه الواحدة لكن لا يمكن أن تكون وصـــفا دقيقا لمراحل أمة محمد صـلى الله علية وسـلم في كل تاريخها، فانهيار عصـبية بني أميه مثلا وانتقال الملك لبني العباس لا يعني أن الأمة الإسلامية وصلت لمرحلة الانهيار، وذلك لأن الانهيار وصف لتلك العصبية أو القومية وليس للأمة كاملة، ثم إن نظرية العصبية حددت دورة الحياة في ثلاث أجيال وأن الدولة تنقرض في الجيل الرابع وأن عمر الدولة يكون في الغالب مائة وعشرين سنة، ومن الواضح أن ذلك لم ينطبق مثلا على الخلافة العثمانية، ولهذا كان لا بد من ســـد هذه الفجوة والمحاولة لإيجاد

نظرية واضحة لدورة حياة أمة محمد صلى الله عليه وسلم تستوعب تاريخها الطويل والممتد.

٤. بعض الدراسات تأسست بناءً على تحليل تاريخ يختلف عن تاريخ أمة محمد صلى الله علية وسلم، وبالتالي قد لا يصح تعميمها على الأمة الإسلامية لوجود بعض الخصوصيات التي لا تتشابه فيها مع أي أمة من الأمم.

٥. بعض تلك النظريات ترى بدورات حتمية لتلك الأمم تبدأ بالولادة ثم القوة ثم الشيخوخة ثم السقوط، فهي دورة واحدة بلا عودة، والمنحنى البياني لتلك الدورة يعبر عن موجه واحدة فقط، بينما دورة حياة أمة محمد صلى الله علية وسلم لا ينطبق عليها هذا التوصيف فتاريخ الأمة الإسلامية لم يمر عبر دورة واحدة من النشأة وحتى الانهيار بدون عودة، فقد أثبت التاريخ أنها بُعثت من جديد كموجه ثانية ودورة حياة جديدة.

٦. أغلب تلك الدراسات لم تشير لبُعد الارتباط والتأثير بين الأمة (A) والأمة (B) المقابلة لها، في حين أننا نرى بأنه لا يمكن فهم مراحل الأمة (A) بعيدا عن الأمة المقابلة لها سواء في تسمية تلك المراحل أو حتى في خيارات الانتقال من مرحلة لأخرى، فكل أمة لها تأثير على مسار وخيارات الأمة الأخرى، حيث تؤثر كل أمه في مصير الأمة الأخرى، وهذا التأثير والارتباط موجود في كل مرحلة من مراحل دورة الحياة.

ثالثا: الفجوة التي تغطيها هذه الدراسة وأهم ما يميزها عن النظريات السابقة

من خلال كل تلك الاسهامات المبذولة في الدراسات والنظريات السابقة: نلاحظ بأننا بحاجة للبناء على تلك الجهود المقدمة لكي نطور نموذجا واضحا ومتكاملا لدورة حياة أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وأهم ما يميزه عن تلك النظريات والدراسات ما يلي:

١. نموذج لا يقتصر على دراسة عوامل وأسباب السقوط والانهيار أو يركز على مرحلة التمكين والقوة ويتجاهل باقي مراحل الدورة، ولكنه يضع تصورا واضحا لكل مرحلة من مراحل الدورة مع تحديد خصائص وملامح كل مرحلة ومتطلباتها.

٢. نموذج يضع الاحتمالات والمسارات التي قد تسلكها الأمه في كل مرحلة من تلك المراحل إذ ليس هناك مصـــير محتوم واحد ولكن هناك خيارات متعددة في كل مرحلة، كل خيار يرسم مسار انتقال للمرحلة التالية أو الرجوع للمرحلة السابقة أو البقاء في نفس المرحلة.

٣. نموذج متفائل يرى بأن الأمة ليست في خط واحد تنتهي بالانهيار بلا عودة، بل هي في دورة متكررة قابلة للبعث من جديد في موجة جديدة ودورة حياة جديدة.

٤. نموذج متقدم ينظر للتاريخ كسلسلة من الدورات المتشابكة حيث أن كل أمة تسبح في دورتها الخاصة ولكنها تلتقي مع الأمة الأخرى في مرحلة معاكسة تماما، فإذا كانت الأمة (A) في مرحلة الانهيار فإن الأمة (B) في مرحلة التمكين، وإذا كانت الأمة (A) في مرحلة البعث فإن الأمة (B) تكون بدأت في الانحدار، إذا كانت الأمة (A) في مرحلة الاستقلال فإن الأمة (B) تكون في مرحلة الانقسام، وإذا ما وصلت الأمة (A) إلى مرحلة التمكين فإن الأمة (B) في مرحلة الانهيار وهكذا.

٥. نموذج يخص أمة محمد ﷺ، وأيضا ينطبق عليها كأمة، وليس على انتاجها الحضاري والثقافي فقط، بحيث يكون نموذجا علميا متكاملا قابلا لاستخدامه كأداة للتحليل والتنبؤ.

وثقتي بالله وتوكلي عليه أن تكون هذه المحاولة إضاءة لأبناء هذه الأمة تسهل لهم فهم المراحل التي مرت بها أمتهم عبر تاريخها الطويل، ويتمكنوا بسهوله من تحليل المرحلة التي تعيشها أمتهم فيحسنوا التعامل مع واقعهم ويعملوا بمتطلباته المرحلية، ويتمكنوا أيضا من التنبؤ بمستقبل أمتهم فينجحوا في التخطيط له.

الفصل الثاني: نموذج دورة حياة أمة محمد ﷺ

هذا الفصل خاص بالفكرة التي نريد تقديمها كنموذج لدورة حياة أمة محمد ﷺ، وقد احتوى على خمسة مباحث:

- المبحث الأول: التعريف بالفكرة وشرحها وأبعادها ثم رسم منحنى الدورة.
- المبحث الثاني: مراحل الدورة كاملة مع شرح كل مرحلة ورسمها في صورة توضيحية.
- المبحث الثالث: خصائص وملامح ومتطلبات وواجبات كل مرحلة.
- المبحث الرابع: البراهين التي تم بناء الفكرة بموجبها.
- المبحث الخامس: الاحتمالات والمسارات المتاحة في مراحل الدورة.

المبحث الأول

التعريف والشرح والأبعاد والمنحنى

أولا: تعريف نموذج دورة حياة أمة محمد ﷺ

النموذج هو عملية إنشاء تمثيل مبسط لشيء ما أو ظاهرة معينة، بهدف فهمها وتحليلها والتنبؤ بمستقبلها، **ونموذج دورة حياة أمة محمد** ﷺ: هو إطار منطقي تم إنشاؤه لتمثيل المراحل التي تمر بها أمة الإسلام بغرض تسهيل فهم تلك المراحل، واستخدامه كأداة علمية في تحليل ماضي الأمة وحاضرها والتنبؤ بمستقبلها، والشكل رقم (١) يوضح نموذج دورة حياة أمة محمد ﷺ.

شكل رقم (١): تصور توضيحي لدورة حياة أمة محمد صلى الله عليه وسلم

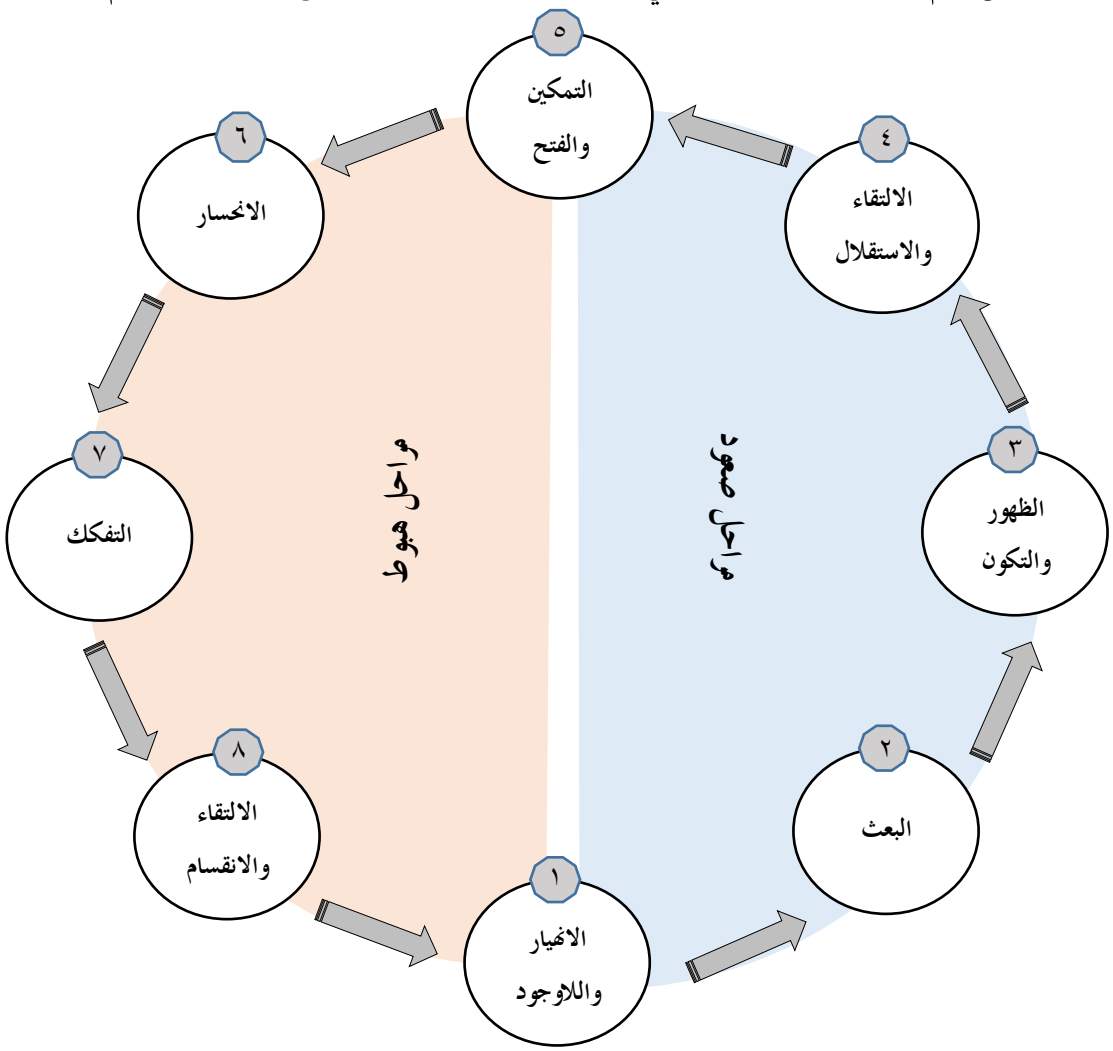

ثانيا: شرح نموذج دورة حياة أمة محمد ﷺ

إذا افترضـنا أن أمة محمد صـلى الله علية وسـلم هي الأمة (A)، وأن أمة الجاهلية هي الأمة (B)، فإن نموذج دورة حياة الأمة (A) ينص على:

١. إن الأمة (A) بمقابل الأمة (B) تمر بثمان مراحل في دورة حياة كاملة وهذه المراحل هي:

أ- مرحلة **اللاوجود أو الانهيار** في حين أن الأمة (B) تكون في مرحلة التمكين والقوة.

ب- مرحلة **البعث** في حين أن الأمة (B) تكون في مرحلة الانحسار.

ت- مرحلة **الظهور والتكون** في حين أن الأمة (B) تكون في مرحلة التفكك.

ث- مرحلة **الالتقاء** بين الأمتين **واستقلال** الأمة (A) وهذه مرحلة صراع بينهما.

ج- مرحلة **التمكين والقوة** في حين أن الأمة (B) تكون في مرحلة الانهيار أو اللاوجود.

ح- مرحلة **الانحسار** في حين أن الأمة (B) تكون في مرحلة البعث.

خ- مرحلة **التفكك** في حين أن الأمة (B) تكون في مرحلة الظهور والتكون.

د- مرحلة **الالتقاء** بين الأمتين **وانشقاق** الأمة (B) وهذه مرحلة صراع بينهما.

أ- **الانهيار** والرجوع لمرحلة **اللاوجود** في حين أن الأمة (B) تكون في مرحلة التمكين.

٢. تنتهي الدورة الأولى بالرجوع لمرحلة اللاوجود أو الانهيار وذلك كبداية لدورة جديدة، وبالتالي فالأمة تمر بدورات حياة متكررة ومتجدده، والوصـول للانهيار لا يعني انتهاء عمر الأمة وطوي صفحتها، ولكنه بداية موجه جديدة ودورة حياة جديدة.

٣. روح الأمم التي تبعثها للحياة وتشـــكل وهج عطائها وحيويتها هي المعاني والقيم والمبادئ التي نشـأت من أجلها والمنهج الذي تحمله كمصـدر سـعادة لها ولغيرها، وروح أمة محمد صلى الله علية وسلم هي الرسالة السماوية التي تحملها وهي مؤتمنه على تبليغها للبشـــرية جميعا، فإذا ما خفت هذه الروح أو جرى اهمالها والتحايل في الالتزام بها كان ذلك سببا للانحدار ثم الانهيار، لأن دورات الأمم إنما تبعث وتتوهج وتموت بروحها لا بقالبها الخارجي، إن هذه هي الحقيقة التي أخفاها من «يحاولون إلقاء اللوم بشأن تخلف المسلمين على الإسلام متجاهلين أن مصدر الإحياء في كافة المراحل الرئيسية من تاريخ المسلمين كان لا يأتي إلا من الإسلام ذاته»(٣٢).

وروح الحضـــارة الغربية هو العلم، فمبدأها الذي قامت عليه هو محاربة الخرافة والدين المحرف وكهنوت الكنيسة، فهي نهضت بالعلم والحريات والحقوق، وبالتالي فمصيرها مربوط بمدى وفائه لروحها الأصلية، وقد كانت هذه الروح روحا سامية لأن جوهرها لا يختلف عن روح الإســـلام كدين سماوي نادى بالتحرر من العبودية لغير الله، وحارب الخرافة ودعا للتفكر وحث على العلم وقول الحق واتباع الحقيقة، ومتى ما تنكر الغرب للعقل التجريبي والمنهج العلمي أو جعل العلم مجرد أداة ربحية للهيمنة فقد خان ذاته وتنكر لروحه التي نهضت به.

٤. لا يمكن فهم مراحل الأمة (A) بعيدا عن الأمة المقابلة (B)، سواء في تسمية تلك المراحل أو حتى في خيارات الانتقال من مرحلة لأخرى فكل أمة لها تأثير على مسار وخيارات الأمة الأخرى.

٥. التسلسل بين هذه المراحل الثمان ليس أمرا حتميا، فقد تنتقل الأمة من المرحلة الثالثة إلى الخامســـة متجاوزه مرحلتين، وقد تعود من المرحلة الثامنة إلى المرحلة الخامســـة

(٣٢) حمد شابر، الحضارة الإسلامية أسباب الانحطاط والحاجة إلى الإصلاح، ترجمة محمد السمهوري، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م، صفحة١٦.

مباشـــرة، وقد تتحول من التمكين إلى الانهيار دون العبور في باقي المراحل، كل هذا بحسب الخيارات والمسارات التي تحددها العوامل المختلفة زمانا ومكانا لكل أمة.

٦. المرحلة هي حالة معينة نوصـف بها وضـع الأمة التي وصـلت إليه، لها خصـائصـها وملامحها ومتطلباتها، والزمن ليس هو من يحدد الانتقال بين تلك المراحل، فقد تستمر أمة من الأمم في مرحلة سنوات كثيرة في حين تتخطاها أمة أخرى في سنوات معدودة، وذلك لأن الانتقال بين تلك المراحل متعلق بعوامل تخص الأمة (A) كاســـتيفائها لمتطلبات المرحلة من عدمه، وعوامل أخرى تخص الأمة (B) كقدرتها على معالجة أخطائها من عدمه.

٧. المطلوب الرئيســـي في دورة الحياة ليس التنقل من الأولى إلى الثامنة بل المطلوب هو الوصـول للمرحلة الخامسـة مرحلة التمكين، فإذا كانت الأمة في المرحلة الأولى أو ما بعدها فالمطلوب هو الصعود المتدرج للوصول للمرحلة الخامسة، وإذا كانت الأمة في المرحلة الثامنة أو ما قبلها فالمطلوب هو التراجع للعودة للمرحلة الخامسة، وإن كانت في مرحلة التمكين والقوة فالمطلوب هو البقاء في هذه المرحلة والمحافظة على هذه المرتبة ورعايتها، لأنها المرحلة التي أمضى رسول الله ﷺ حياته مجاهدا حتى أوصل أمته إليها وما غادر عليه الصلاة والسلام الحياة إلا وقد وضع أمته في المرحلة التي يرتضيها الله لها والتي تتناسب مع كونها أمة رسالة شاهدة على باقي الأمم ﴿وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ (الحج: ٧٨).

٨. كلما حافظت الأمة على بقائها في مرحلة التمكين والقوة كلما توســـعت جغرافيا وتحولت من أمة إلى إمبراطورية، فالتوســـع ليس مرحلة مســـتقلة بل هو نتيجة لطول البقاء في مرحلة التمكين، وأثناء توســـعها يختلف توصـــيف مرحلتها، فهي بالنســـبة

للأمة (B) تعتبر في مرحلة التمكين لكنها بالنسبة للأمة (C) التي تريد أن تتوسع على أراضيها تعتبر في مرحلة الاستقلال والصراع.

٩. نموذج الدورة ينطبق على حياة الأمة ككيان بكل ما ينتج عنها وليس فقط على الجانب الفكري والحضاري لها، فالأمة قد تكون في مرحلة الانهيار لكن تأثيرها الحضاري يكون مستمرا نتيجة لثقل عطائها الحضاري الذي قدمته في مراحل قوتها، وبالتالي فنموذج دورة الحياة مصمم للأمة بمعناها الذي ذكرناه في مصطلحات الدراسة.

١٠. نموذج الدورة يمكن استخدامه في تحليل الماضي والحاضر والتنبؤ بالمستقبل، وبناء على النموذج هذا نستطيع أن نحدد أين كنا في الماضي كأمة وأين نحن الان وأين سنكون في المستقبل.

ثالثا: أبعاد نموذج دورة حياة أمة محمد ﷺ

النموذج الذي وضعناه لدورة حياة أمة محمد ﷺ له تسعة أبعاد: بُعد المرحلية، بُعد العودة والتكرار، بُعد روح الأمة، بُعد التاريخ والزمن، بُعد التفاعل والتأثير مع الأمة المقابلة، بُعد الخيارات وتحديد المسار، بُعد الاختصاص، بُعد مجال التطبيق، بُعد إمكانية الاستخدام، وتوضيحها كالتالي:

الأول: بُعد المرحلية: ونقصد به أن دورة حياة أمة محمد ﷺ تمر بثمان مراحل محدده تبدأ باللاوجود وتنتهي بالعودة إليها كأول مرحلة من الدورة الجديدة، كما هي موضحة سابقا في نص النموذج.

الثاني: بُعد العودة والتكرار: ونقصد به أنها ليست دورة حتمية واحدة بل هي دورات متجدده كل دورة تنتهي بالعودة للمرحلة الأولى في دورة جديدة.

الثالث: بُعد روح الأمة: ونقصد به أن كل أمة لها روح، هذه الروح هي التي تُخرجها حية للوجود في بداية دورتها، وهي التي تضيف لها الحيوية والازدهار في مراحل دورتها، فإذا ما خفت هذه الروح أو انطفأت انهارت الأمة، وروح أمة محمد ﷺ في دورات حياتها هو الإسلام، فبه كانت خير أمة أخرجت للناس، وبه أعزها الله ومكنها، وعند فقدانها لهذه الروح صارت جثة هامدة بلا حياة قابلة للاستهلاك تتداعى عليها الأمم.

الرابع: بُعد عدم تحديد تواريخ وزمن معين: ونقصد به أن الزمن على الرغم من كونه عاملا مهما لكنه ليس هو العامل الذي يحدد مدة بقاء الأمة في تلك المرحلة أو انتقالها للمرحلة الأخرى، فهناك عوامل تخص الأمة (A) وأخرى تخص الأمة (B) لها تأثير على تحديد فترة المرحلة، وبالتالي لا يمكن تحديد تواريخ محددة لتلك المراحل أو تحديد مدة زمنية معينة للدورة.

الخامس: بُعد الارتباط والتأثير مع الأمة المقابلة: ونقصد به أن مراحل الأمة (A) متشابكه مع مراحل الأمة (B) ولا يمكن وصف المرحلة بعيدا عن هذا الارتباط فإذا كانت الأمة (A) في مرحلة الانهيار فهذا يعني أن الأمة (B) في مرحلة التمكين وهكذا في كل المراحل هناك ارتباط عكسي، ثم إن كل أمة لها تأثير على مسار وخيارات الأمة الأخرى.

السادس: بُعد وجود خيارات للأمة تمكنها من تحديد مسارها: ونقصد به أن لكل مرحلة خياراتها المبنية على تحليل واقع الأمتين، وتلك الخيارات المتاحة هي من تحدد مسار الانتقال والتحول.

السابع: بُعد مجال التطبيق: ونقصد به أن مجال تطبيق الدورة على الأمة من حيث كونها جماعة بشرية تحمل رسالة واحده ولها روابط تجمعهم ومنهج ينضم حياتهم وقيادة توحدهم

وتدير شئونهم، وبالتالي الدورة لا تنطبق على الجانب الحضاري فقط، لأن الأمة قد يبقى تأثيرها الحضاري متوهجا لفترة حتى لو كانت الأمة قد وصلت للانهيار.

الثامن: بُعد الاختصاص: ونقصد به أن النموذج خاص بالأمة الإسلامية، ولهذا قد لا يكون تعميمه مناسبا على باقي الأمم لاختلاف الخصائص والعوامل والظروف والتاريخ.

التاسع: بُعد إمكانية الاستخدام: ونقصد به أن النموذج تم بناؤه ليتم استخدامه كأداة علمية لوصف الماضي وتحليل الحاضر واستشراف المستقبل.

رابعا: منحنى دورة حياة أمة محمد ﷺ

المنحنى هو: رسم توضيحي لكيفية تحول الأمة من مرحلة إلى أخرى خلال دورة حياتها، والشكل (٢) يوضح منحنى دورة حياة أمة محمد ﷺ، حيث يمثل الخط الأفقي (X) الفترة الزمنية، والخط العمودي (Y) يمثل مستوى التمكين والقوة، فيكون المنحنى عند أدنى نقطة في مرحلة اللاوجود ثم يبدأ المنحنى بالصعود قليلا في مرحلة البعث ثم يواصل الصعود في مرحلتي التكون والاستقلال حتى يصل عند أعلى نقطة عندما تكون الأمة في مرحلة التمكين ثم يبدأ المنحنى بالانحدار للأسفل عندما تبدأ الأمة في الانحسار ويستمر الانحدار عند باقي المراحل حتى يعود المنحنى إلى أدنى نقطة عند مرحلة اللاوجود.

شكل رقم (٢) منحنى دورة حياة أمة محمد ﷺ

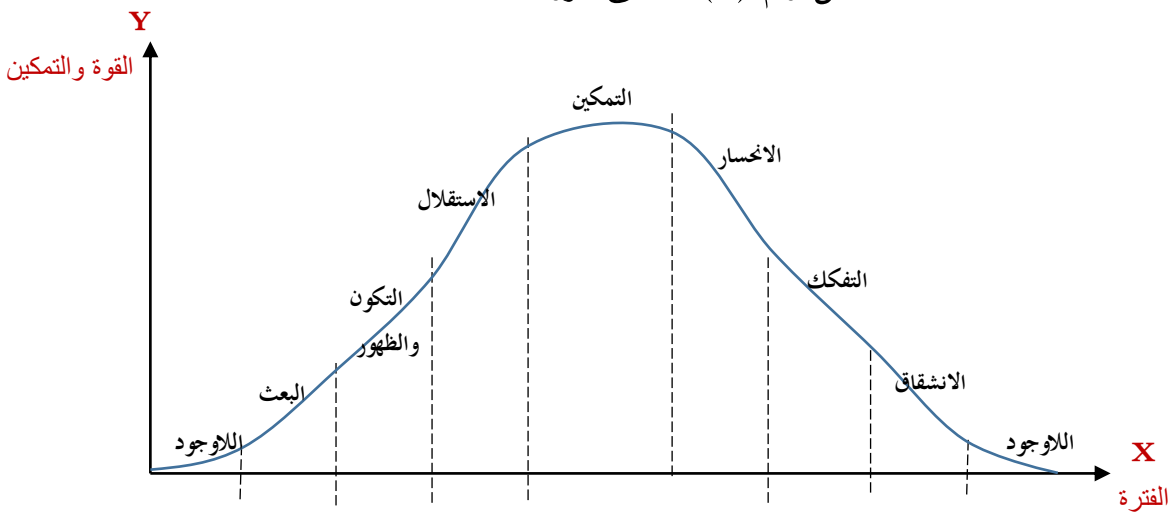

والدكتور طارق السويدان يرى بأن «المنحنى عندما يكون في حالة صعود لا يعني ذلك عدم وجود هزائم، وكذلك عندما يكون في حالة انحدار لا يعني ذلك عدو وجود انتصارات» [٣٣]، وقد شبه هذا المنحنى «بمنحنى الأسهم في البورصة فهي تصعد وتنزل باستمرار، فلو نظرنا لهذا الصعود والنزول على مدى فتره زمنيه قصيره فإننا لا نرى اتجاه المنحنى العام، ولكن لو نظرنا له على مستوى فترة زمنية طويله فإننا نرى الاتجاه العام بشكل واضح، وحركات النزول والصعود اللحظية سوف تختفي، وهكذا هي حركه التاريخ تأتينا انتصارات وتأتينا هزائم، فلا ننظر الى نصر واحد ثم نحكم على هذه الفترة بأننا في صعود، ولا ننظر إلى هزيمه حدثت ثم نحكم على المنحنى العام بأننا في هبوط نتيجة لحظة انهزام عابرة، إنما ننظر إلى حركه التاريخ بشكل عام وفي اي اتجاه يكون المنحنى، فأحيانا نكون في لحظه نصر عابره لكن اتجاه الحركة العام للتاريخ في هبوط، فالنزول والهبوط في حد ذاته ليس له اعتبار، الاعتبار الحقيقي هو في أي اتجاه نمشي، هل نحن في صعود بغض النظر عن لحظات الانكسار التي قد تحدث أثناء هذا الصعود؟ أم نحن في اتجاه الانحدار وحينها لا تغني لحظات النصر العابرة؟» [٣٤].

شكل (٣) منحنى دورة حياة أمة محمد ﷺ يتبين فيه أن
مراحل الصعود قد يكون فيها هزائم ومراحل الانحدار قد يكون فيها انتصارات

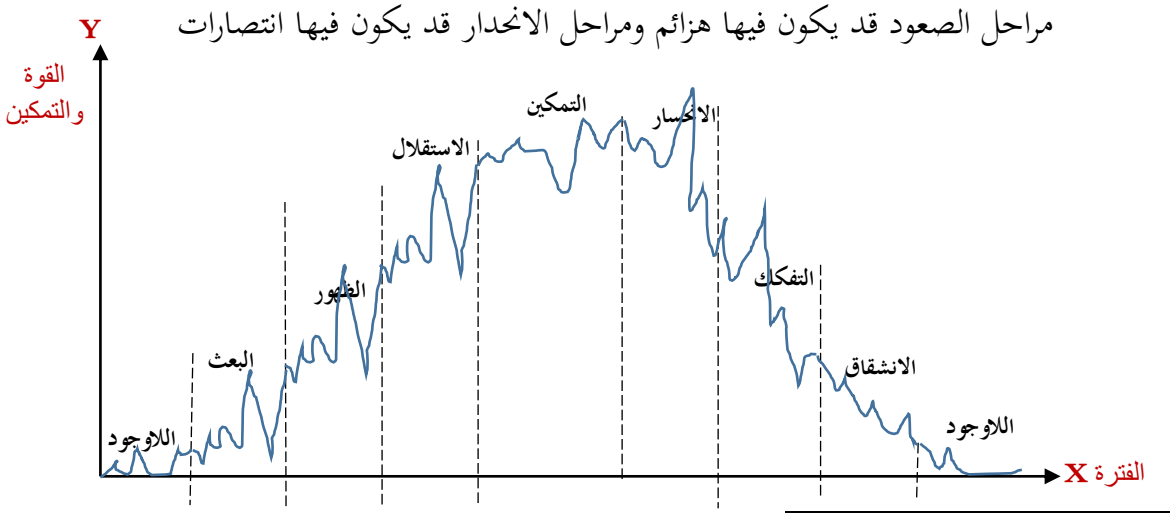

(٣٣) طارق السويدان، اسباب انحدار الحضارة الإسلامية، ١١مارس ٢٠٢٢م، موقع طارق السويدان، رابط: https://suwaidan.com //.
(٣٤) طارق السويدان، حركة التاريخ في الأمه، محاضرة متاحة على محرك البحث رابطها:
https://www.youtube.com/live/as^EDcMBFvU?feature=shared

ولأننا نرى بأنه لا يمكن فهم منحنى الأمة بعيدا عن منحنى الأمة المقابلة لها، حيث تؤثر كل أمه في منحنى الأمة الأخرى، وهذه العلاقة موجود في كل مرحلة من مراحل دورة الحياة، فإن منحنى دورة حياة أمة محمد صلى الله عليه وسلم وعلاقته بمنحنى دورة حياة الأمة الجاهلية يوضحه الشكل التالي رقم (٤).

شكل (٤) منحنى دورة حياة أمة الإسلام وعلاقته بمنحنى دورة حياة الأمة المقابلة

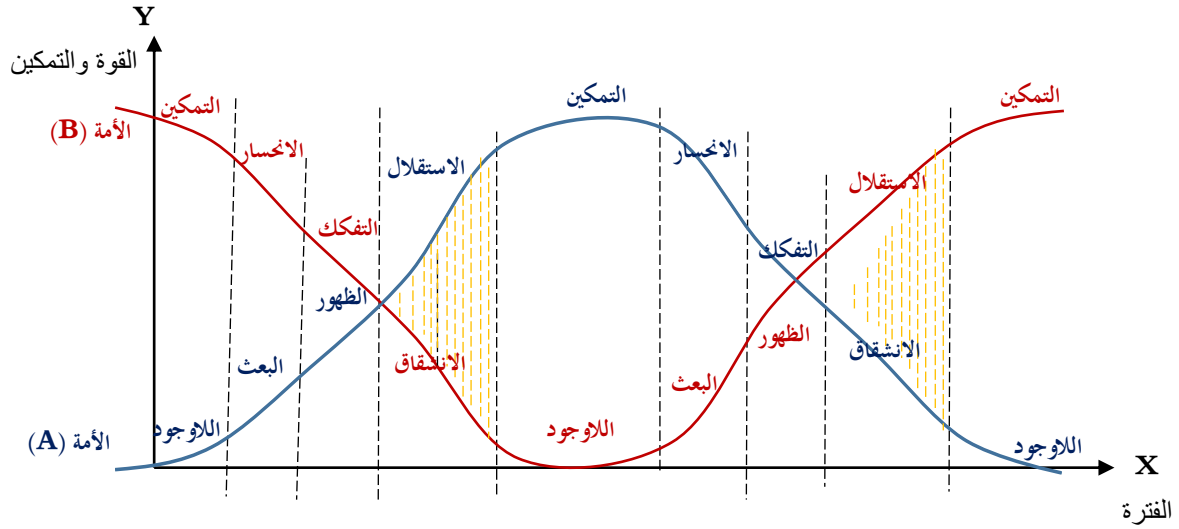

يتضح من خلال الشكل رقم (٤) بأنه:

١. عندما تكون الأمة (A) في مرحلة (اللاوجود) فإن الأمة (B) تكون في مرحلة (التمكين)

٢. وعندما تكون الأمة (A) في مرحلة (البعث) فإن الأمة (B) تكون في مرحلة (الانحسار)

٣. وعندما تكون الأمة (A) في مرحلة (الظهور) فإن الأمة (B) تكون في مرحلة (التفكك)

٤. وعندما تكون الأمة (A) في مرحلة (الاستقلال) فإن الأمة (B) تكون في مرحلة (الانشقاق)، وهذه مرحلة صراع، ويبدأ الصراع من نقطة الالتقاء، والمكان المظلل على المنحنى يعبر عن ذلك.

٥. وعندما تكون الأمة (A) في مرحلة (التمكين) فإن الأمة (B) تكون في مرحلة (الانهيار)

٦. وعندما تكون الأمة (A) في مرحلة (الانحسار) فإن الأمة (B) تكون في مرحلة (البعث)

٧. وعندما تكون الأمة (A) في مرحلة (التفكك) فإن الأمة (B) تكون في مرحلة (الظهور)،

٨. وعندما تكون الأمة (A) في مرحلة (الانقسام) فإن الأمة (B) تكون في مرحلة (الاستقلال)، وهذه مرحلة صراع، ويبدأ الصراع من نقطة الالتقاء، والمكان المظلل على المنحنى يعبر عن ذلك.

٩. العودة من جديد في دورة جديده بدايتها تكون الأمة (A) في مرحلة (اللاوجود) في حين تكون الأمة (B) في مرحلة (التمكين)، تماما كالمرحلة رقم (١) من الدورة.

المبحث الثاني

مراحل دورة حياة أمة محمد صلى الله عليه وسلم

المرحلة الأولى: مرحلة اللاوجود أو الانهيار

فبينما تكون الأمة (B) كأمه جاهلية في أوج قوتها في مرحلة التمكين لها قيادتها ومناهجها ومنظومتها التي تحكمها، تكون الأمة (A) كأمة إسلامية غير موجودة وعدم وجودها لا يعني عدم وجود أفراد منها أو مجموعات متفرقة هنا وهناك لكنه وجود محكوم بمنظومة الأمة (B) وقيمها وتحت قيادتها، وتستمر الأمة (B) في قيادة الحياة حتى إذا ما أصبحت غير صالحة، وأبرز مظاهر انتهاء صلاحيتها هو: ممارستها للظلم، وبطرانها للنعم، وتبنى الشرك بدلا من التحرر وتغييرها للفطرة البشرية رسميا، وغيرها من مواصفات الجاهلية، فإذا ما صارت كذلك انطبق عليها وصف الجاهلية، وهذا هو الوضع الذي

يسبق بعثة الأنبياء والرسل أو بعثة ورثة الأنبياء من الرواد، قال الله تعالى ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ (البقرة:٢١٣)، قال العوفي «عن ابن عباس: أمة واحدة كانوا كفارا» [٣٥]، «وقيل أمة واحدة: صنفا واحدا» [٣٦]، «وقيل وجدوا أمة واحدة تتحد مقاصدها ومطالبها ووجهتها لتصلح ولا تفسد وتحسن ولا تسيء وتعدل ولا تظلم، فما وجدوا إلا ليكونوا كذلك فلما انحرفوا بعث الله النبيين» [٣٧]، وسواء كانوا أمة واحدة على الهدى والدين ثم انحرفوا كما هو رأي بعض المفسرين، أو كانوا أمة واحده على الجاهلية، فالأنبياء إنما بعثوا لوجود انحراف في منظومة تلك الأمة، والواقع قبل البعثة يحكي عن وجود أمة واحدة سواء كانت جاهلية أساسا أو طرأت عليها الجاهلية فيما بعد، ولفظ أمة يشير لمنظومة متكاملة بمبادئها وقيمها وقيادتها، فالناس كلهم تحت هيمنة الأمة الواحدة الجاهلية، على الرغم من وجود أفراد وتجمعات مضيئة داخل هذه الأمة الجاهلية إلا أن الوضع لا زال ينطبق علية وصف الأمة الواحدة حيث أن الأمة الإسلامية (A) لم تتشكل بعد.

هذه المرحلة من دورة حياة أمة محمد ﷺ سميناها اللاوجود والانهيار للأمة (A) والتمكين للأمة (B)، والشكل رقم (٥) تظهر فيه الأمة الجاهلية (B) دائرة كبيرة بمنظومتها وقيادتها وكيانها وقد تضم بداخلها تجمعات وأفراد من الأمة (A) لكنها لم تصل لدرجة الوجود ككيان له منظومته وقيادته.

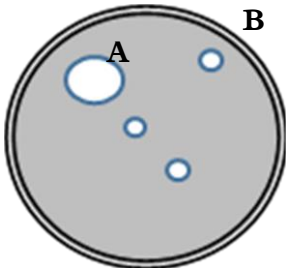

شكل رقم (٥) رسم توضيحي للمرحلة

(٣٥) ابن كثير، تفسير القران العظيم، المجلد ١، سورة البقرة، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٨، صفحة ٤٢٥.
(٣٦) محمد أبو منصور الماتريدي، تأويلات أهل السنة، الجزء الثاني، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الثانية،٢٠٠٥م، صفحة ١٠٧.
(٣٧) محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، الجزء الثالث، سورة البقرة، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، صفحة ٥٢٨.

المرحلة الثانية: مرحلة البعث

تبدأ الأمة (B) في الانحسار نتيجة عدم قدرتها على معالجة أخطائها فتظهر أصوات التصحيح ويتشكل رواد الاصلاح في مركز الأمة (B) ويكون لديهم رؤيتهم الخاصة في الإصلاح الشامل لكل ما اعتراه الفساد والخراب في المنظومة القديمة، ويتبنون وراثة كل ما هو صالح من المبادئ القديمة للأمه الجاهلية (B)، «إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مكارمَ الأخلاقِ »[٣٨]، فبعثة القيادة الجديدة برؤيتها ومنهجها من مركز الأمة (B) يعتبر النواه الأولى لوجود الأمة (A)، وعلى الرغم من أن هذا الوجود لا يزال ضمن دائرة الأمة (B) وفي إطارها، ولكنه وجود ينتج عنه التفاف حول القيادة الجديدة ومنهجها، هذا الالتفات يشكل انحسار للأمة (B) في حين تبدأ الأمة الجديدة (A) تُصنع على عين الله ورعايته.

هذه المرحلة من دورة حياة أمة محمد صلى الله علية وسلم سميناها بعثة الأمة (A) وانحسار الأمة (B)، والشكل رقم (٦) تظهر فيه الأمة الجاهلية (B) لا زالت دائرة كبيرة بمنظومتها وقيادتها وكيانها، غير أن الجديد في هذه المرحلة هو تشكل قيادة جديدة برؤية ومنهج جديد في مركز الدائرة تستقطب حولها الأفراد مكونة نواة الأمة الجديدة (A).

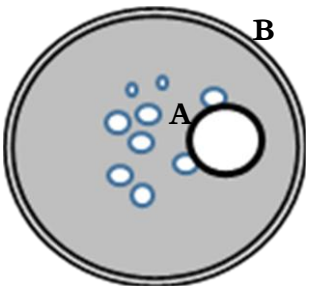

شكل رقم (٦) رسم توضيحي للمرحلة الثانية

المرحلة الثالثة: مرحلة الظهور والتكون

تزداد الأمة (B) في تنكرها للمبادئ التي تبنتها دهرا طويلا فيزداد انحسارها لصالح الأمة (A)، فتظهر الأمة (A) بوضوح كأمة جديده لديها قيادتها ومنهجها وملامحها التي

(٣٨) رواه البخاري في الأدب المفرد (٢٧٣) والحاكم (٦١٣/٢)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة وعلق عليه أن إسناده صحيح، سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٤٥، مجلد ١، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف،١٩٩٥م، صفحة ١١٢.

تميزها عن الأمة (B)، هذه المرحلة تُعتبر ظهورا وتكونا للأمة الجديدة لكنها بنفس الوقت تفككا داخليا للأمة (B)، هذا الظهور للأمة الجديدة يستفز الأمة (B) فتمارس تجاهها كل الجرائم مستخدمة خبرتها الطويلة في المكر السيء، وبدلا من أن تستخدم خبراتها الطويلة في إصلاح منظومتها الخاربة تمارس العكس من ذلك، فتدوس على كل القيم والمبادئ التي حافظت على بقائها فتبدو وكأنها تتصرف ضد نفسها، وتتوسع الفجوة بينها وبين من لا يزال يُؤمل فيها العدل والخير، وتظهر الأمة (A) كالمنقذ والوريث الحضاري للأمة (B).

تظن الأمة (B) أنها تسعى للقضاء على الأمة الجديدة لكنها في الحقيقة تفكك نفسها حين تستقطب حولها من يؤيد ممارساتها وتدفع بالرافضين إلى كيان الأمة الجديدة، هذا الفرز يُشكل تفككا حتميا، فيتحول كل ذلك المكر وتلك المحن إلى فرصة تأهيل وإعداد وتربية للأمة (A)، وردة الفعل من الأمة (B) تجاه الظهور من الأمة (A) ضروريا جدا، لأن الانقسام السهل وبدون تكلفة سيولد تكاثر غير مضبوط وتخرب الحياة الاجتماعية ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (البقرة: ٢٥١)، فصعوبة الانقسام مهم جدا، لأنه أولا: يعتبر تأهيلا للأمة الجديدة بحيث تخرج سليمه قادرة للقيام بدورها، وثانيا: كونه يمنع الانقسامات العبثية.

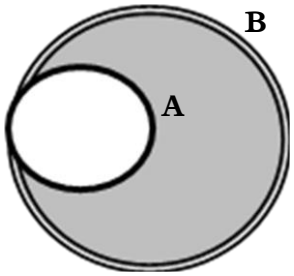

شكل رقم (٧) رسم توضيحي للمرحلة الثالثة

هذه المرحلة من دورة حياة أمة محمد صلى الله عليه وسلم سميناها: الظهور والتكون للأمة (A) والتفكك للأمة (B)، والشكل رقم (٧) يوضح أن الأمة الجاهلية (B) لا زالت هي الدائرة الأم غير أن الأمة (A) قد ظهرت كجنين يوشك أن تستقل.

المرحلة الرابعة: مرحلة الالتقاء والاستقلال

فنتيجة للأحداث التي مرت بها الأمة (A) والتي شـــكلت نضـــجها فإنها تكون مؤهلة بقيادتها ومنهجها لتكون أمة مستقلة بذاتها، لكنها لن تستقل حتى تمر بمحطة التقاء مع الأمة (B)، فتلتقي الأمتان في يوم تاريخي فاصل هو يوم الفرقان، يلتقي الجمعان أحدهم يدفعه الإيمان بالمنهج والقيم والمبادئ والرغبة في الاســـتقلال والثاني يدفعه البطر والكبر والرغبة في القضـاء على الانقسـام، فتخرج الأمة (A) بعد هذا الالتقاء منتصـرة فتأسـس دولتها ومنظومتها الخاصـة وتصـبح دائرة مسـتقلة في مقابل دائرة الأمة (B)، وتنتقل من كونها جماعه كانت ضـــمن منظومة الأمة (B) إلى أمة لها منظومتها الخاصـــة، فتعيش مرحلة لها متطلباتها كدولة تختلف عن مراحلها الســـابقة، ونتيجة لما حدث يوم الفرقان تشعر الأمة (B) بالحاجة لإعادة هيبتها فتظل مشـدودة بفكرة تأديب الخارجين فتتحول فترة ما بعد الالتقاء إلى فترة صـــراع بينهما، ونتائج فترة الصـــراع هذه هي: محق وانهيار الأمـة (B) وتمحيص وإعـداد للأمـة (A) لمرحلـة التمكين القادمة.

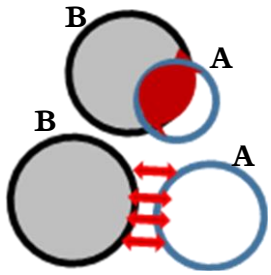

شكل رقم (٨) رسم توضيحي للمرحلة الرابعة

هـذه المرحلة من دورة حياة أمـة محمـد ﷺ سميناهـا الالتقاء بين الأمتين واستقلال الأمة (A)، والشكل رقم (٨) يوضـــح أن الأمة الجديدة (A) بعد محطة الالتقاء أصبحت دائرة مستقلة في مقابل الأمة (B).

المرحلة الخامسة: مرحلة التمكين

نتيجة لأن منظومة الامة (B) خربانة أخلاقيا ولم تعد صـــالحة ولا مؤهلة للقيام بمهمتها كأمة، فقد كانت مرحلة الصـــراع مجرد عامل معزز لا غير لانهيارها، في حين أن تلك الفترة كانت عامل تأهيل للأمة (A) لتنتقل لمرحلة التمكين والقوة، وعندها يداول الله

الأيام بين الناس وها هي الان الأمة (B) عبارة عن أفراد أو مجموعات فقط ضمن دائرة الأمة (A) الجديدة، وهذه المرحلة بالنسبة للأمة (B) تشبه المرحلة الأولى بالنسبة للأمة (A)، ذلك بأن الفضل والملك بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

وكلما طال بقاء الأمة (A) في هذه المرحلة كلما توسعت جغرافيا، فتتحول إلى إمبراطورية، فالتوسع ليس مرحلة مستقلة كما هي وجهة نظر لبعض النظريات في جعلها التوسع أو الإمبراطورية مرحلة ضمن مراحل الدورة، لكننا نعتبرها نتيجة حتمية لطول البقاء في مرحلة التمكين، فنضجها الذي اكتسبته عبر مراحل صعودها والرشد الذي امتلكته سوف يساعدها على التوسع، ويراها الأخرون محل ثقة فيرتضون العيش تحت عدالتها فتنضم مناطق جغرافية إليها بأقل التكاليف وهذا هو الفتح والتمكين، ومدة بقائها في هذه المرحلة مرهون بمدى تمسكها وتطبيقها لتلك القيم والمبادئ التي قامت بها ومدى تطبيقها للمنهج القويم الذي كانت مؤتمنة عليه، ولقد جاهد الرسول صلى الله علية وسلم في حياته حتى أوصل أمته لهذه المرحلة فغادرها مطمئنا وترك على أمته من بعده مهمة الاستمرار في هذه المرحلة والحفاظ عليها.

وأثناء التوسع يختلف توصيف المرحلة التي تعيشها، فالأمة (A) في دورتها الأولى في عهد النبي محمد صلى الله علية وسلم دخلت هذه المرحلة بعد الحديبية، ولكنها عندما بدأت تتوسع في عهد الخلفاء الراشدين كانت بالنسبة لأمة العرب في مرحلة التمكين وبالنسبة لأمة فارس والروم في مرحلة الاستقلال والصراع، فلما انتصرت أصبحت في مرحلة التمكين.

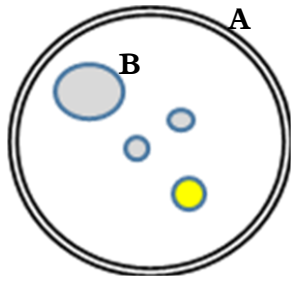

شكل رقم (٩) رسم توضيحي للمرحلة الخامسة

هذه المرحلة من دورة حياة أمة محمد صلى الله عليه وسلم سميناها: التمكين والقوة للأمة(A) والانهيار واللاوجود للأمة (B)، والشكل رقم (٩) يوضح أن الأمة (A)

دائرة كبيرة بمنظومتها وقيادتها في حين أن الأمة (B) قد انهارت وأصـــبحت مجرد نقاط ودوائر صغيرة ضمن دائرة الأمة (A).

المرحلة السادسة: مرحلة الانحسار

تبدأ الأمة (A) بالانحسار نتيجة الدعة والترف الذي أورثته لها مرحلة التمكين، حتى إذا ما بدأت تبتعد عن منهج الله الذي كان سـببا في عزتها، وإذا ما ظهر فيها التنافس على الدنيا، فإننا قد نشـــاهد اضـــطرابات داخلية وظهور الردة وتمرد مجموعات عن مركزها، ولكنها تظل كدوائر صـغيرة ضـمن دائرة الأمة (A)، ومن المهم أن الأمة في هذه المرحلة إذا ما أرادت أن تسـتعيد عافيتها فسـيكون ذلك من السـهل عليها لأن الانحدار لازال مجرد تراجع خطوة واحدة، ولكي تســـتعيد عافيتها فيجب أن تكون حازمة في مراجعة أخطائها وتنضم القوانين العادلة وتحكم بها حتى ولو على نفسها، ولا تعطي نفسها مبررا لاتباع الهوى وازدواجية المعايير.

هـذه المرحلـة من دورة حيـاة أمـة محمـد ﷺ سميناهـا: الانحســـار للأمة (A) وبعثة الأمة (B)، والشـــكل رقم (١٠) يوضـــح أن الأمة (A) لا زالت دائرة كبيرة، غير أن الأمـة (B) قد بدأت في البعثة بحدوث الردة.

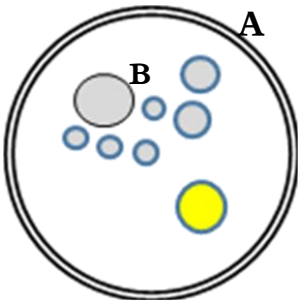

شكل رقم (١٠) رسم توضيحي للمرحلة السادسة

المرحلة السابعة: مرحلة التفكك

إذا لم تسـتطع الأمة (A) معالجة أخطائها واسـتمرت في تنكرها لرسـالة الله التي ائتمنها عليها، وللمبادئ والقيم التي قام وجودها عليها، فإن دائرة الردة والسخط سوف تتوسع، وعندها يُمتحن المخلصـون لدينهم وأمتهم حيث يعجزون عن التبرير للممارسـات الخاطئة التي يقوم بها القائمون على أمتهم ويعجزون عن إيقاف الاضـــطرابات والفتن الداخلية،

وبالتالي يطمع أعداء الأمة من باقي الأمم فيغذون تلك الصراعات ويدعمون الردة فتظهر ككيان واضـــح له معالمه ينادون بمبادئ جديده ومنهج جديد، هذا الكيان يمثل الأمة (B) في مرحلة ظهورها، وهو بمثابة تفكك للأمة (A).

هذه المرحلة من دورة حياة أمة محمد ﷺ سميناها: التفكك للأمة (A) والظهور والتكون للأمة (B)، والشـكل رقم (١١) يوضـح أن الأمة (A) لا زالت هي الـدائرة الأم غير أن الأمـة (B) قـد ظهرت كجنين يوشك أن تستقل.

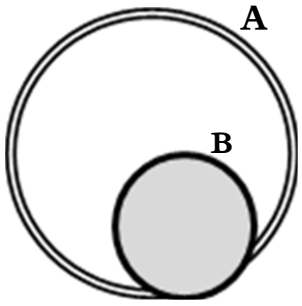

شكل رقم (١١) رسم توضيحي للمرحلة السابعة

المرحلة الثامنة: مرحلة الالتقاء والانقسام

نتيجة لفشـــل الأمة (A) في احتواء التفكك بداخلها فإن الكيان الجديد الذي بداخلها سيخرج مكونا منظومته الخاصـة والمسـتقلة، هذا الخروج يدفع الأمتين للالتقاء والصـراع، ولأن الأمة (A) لم تعد مؤهلة لتكون مؤتمنه على منهج الله للبشـــرية فإن الأمة (B) تنجح في الانشـــقاق وتصـــبح دائرة مســـتقلة في مقابل الأمة (A)، حيث تكون هذه المرحلة مرحلة صراعات وحروب.

هذه المرحلة من دورة حياة أمة محمد ﷺ سميناها: الالتقاء بين الأمتين وانشقاق الأمة (B)، والشكل رقم (١٢) يوضح أن الأمة الجديدة (B) بعد محطة الالتقاء أصـــبحت دائرة مســـتقلة في مقابل الأمة (A).

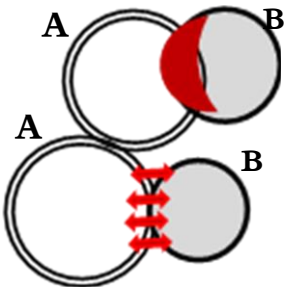

شكل رقم (١٢) رسم توضيحي للمرحلة الثامنة

وعندما تصل الأمة إلى هذه المرحلة فعودتها إلى مرحلة التمكين يكون صعبا، لأنها تحتاج أن تتعدى ثلاث مراحل متراجعة عكســيا، فخير لها أن تراجع نفســها وتعالج أخطاءها

وهي لا زالت قريبة، أما إذا وصـــلت لهذه المرحلة فهي: إما أن تنهار تماما فتعود لمرحلة اللاوجود ثم تموت أجيال التفريط ويبعث الله أجيالا جديدة يبدؤون مرحلة نضال جديدة متدرجين في مراحل الصـعود في دورة حياة جديدة حتى الوصـول للتمكين، أو يسـتبدل الله أولئك القوم بقوم اخرين يحبهم ويحبونه ويعودون بالأمة من حيث أتت فيعملون على تفكيك مراحل السقوط مرحلة تلو مرحلة حتى يعودوا بها لمرحلة التمكين، والشكل التالي رقم (١٣) تجميع لأشكال المراحل التوضيحية منتظمة في دورة حياة كامله.

شكل رقم (١٣) تجميع لأشكال المراحل التوضيحية منتظمة في دورة حياة كامله.

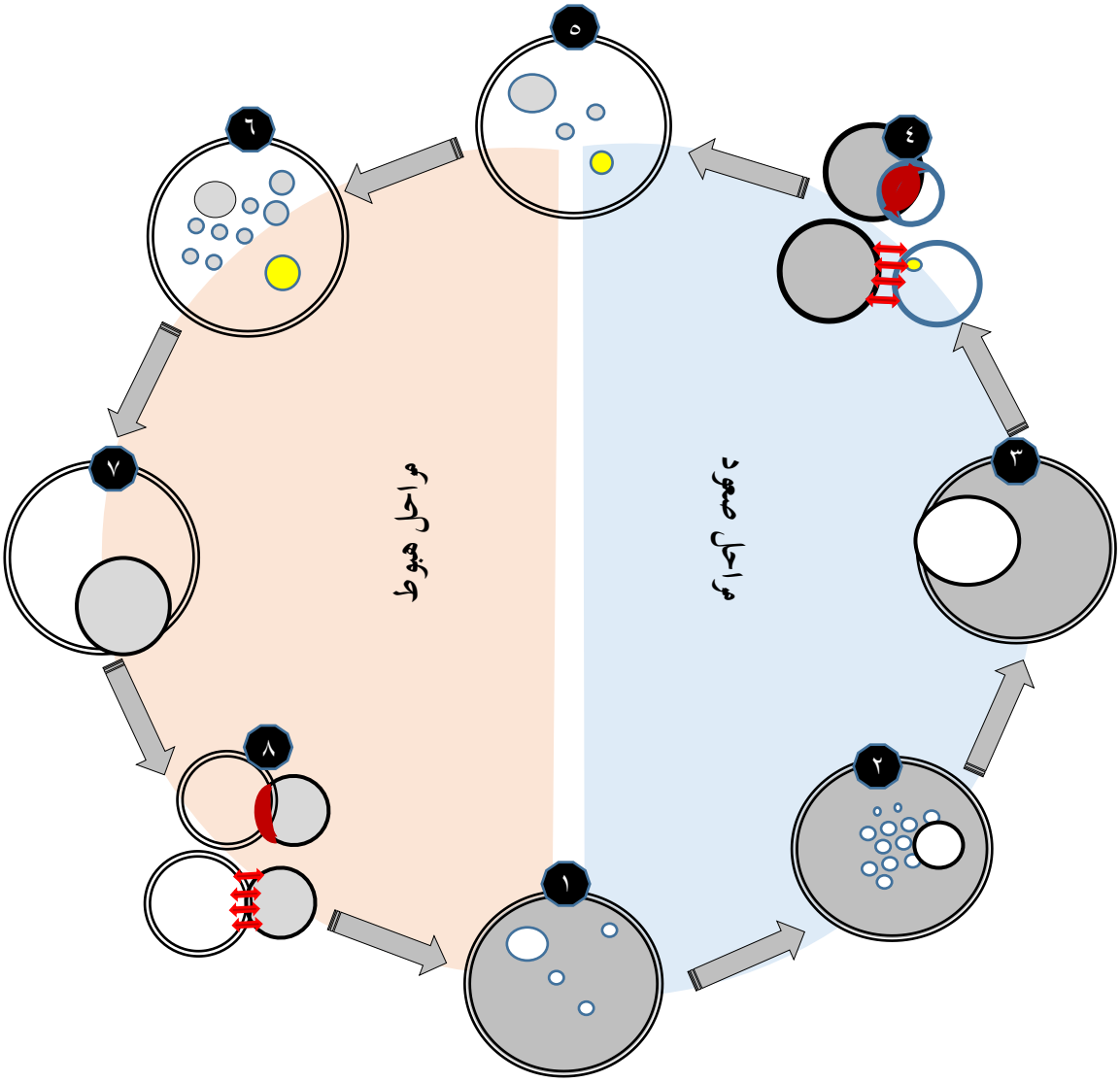

ونلاحظ من الشكل رقم (١٣) ما يلي:

١. المرحلة الأولى تشبه المرحلة الخامسة: غير أن في المرحلة الأولى تكون الأمة (A) لا وجود لها بل هي مجرد دوائر صغيرة، والأمة (B) تكون في مرحلة التمكين وهي الدائرة الكبيرة، أما في المرحلة الخامسة فعكس هذا تماما، فالأمة (A) هي الدائرة الكبيرة والأمة (B) مجرد دوائر صغيرة.

٢. المرحلة الثانية تشبه المرحلة السادسة: غير أن في المرحلة الثانية تكون الأمة (A) في بداية بعثتها ولا تزال دوائر صغيرة، والأمة (B) تكون في بداية انحسارها وهي الدائرة الكبيرة، أما في المرحلة السادسة فعكس هذا تماما، فالأمة (A) في بداية انحسارها وهي الدائرة الكبيرة، والأمة (B) في بداية بعثتها ولا تزال مجرد دوائر صغيرة.

٣. المرحلة الثالثة تشبه المرحلة السابعة: غير أن في المرحلة الثالثة تكون الأمة (A) في بداية ظهورها، والأمة (B) تكون في بداية تفككها وهي الدائرة الكبيرة، أما في المرحلة السابعة فعكس هذا تماما، فالأمة (A) في بداية تفككها وهي الدائرة الكبيرة، والأمة (B) في بداية ظهورها.

٤. المرحلة الرابعة تشبه المرحلة الثامنة: غير أن في المرحلة الرابعة تكون الأمة (A) هي من تستقل، أما في المرحلة الثامنة فعكس هذا تماما، فالأمة (B) هي من تستقل.

وللتوضيح أكثر، يمكن أن نقارن بين المراحل الثمان كالتالي:

١. المرحلة الأولى هي تمكين للأمة (B)، والمرحلة الخامسة هي تمكين للأمة (A).

٢. المرحلة الثانية هي بعثه للأمة (A)، والمرحلة السادسة هي بعثه للأمة (B).

٣. المرحلة الثالثة هي ظهور للأمة (A)، والمرحلة السابعة هي ظهور للأمة (B).

٤. المرحلة الرابعة هي استقلال للأمة (A)، والمرحلة الثامنة هي استقلال للأمة (B).

٥. المرحلة الخامسة هي تمكين للأمة (A)، والمرحلة الأولى هي تمكين للأمة (B).

ولوجود هذا التشابك في المراحل بين الأمتين يصح أن نقول بأن الدورة المتكونة من الثمان المراحل نصف تلك المراحل صعود للأمة (A) والنصف الاخر صعود للأمة (B)، فالأمة (A) تمر في هذه الدائرة عبر أربع مراحل صعود وهي: البعث والظهور والاستقلال والتمكين، وترتيب هذه المراحل بحسب النظرية كالتالي: الثانية والثالثة والرابعة والخامسة وهذه المراحل بالنسبة للأمة (B) تعتبر مراحل سقوط، وكذلك بنفس الطريقة تمر الأمة (B) في هذه الدورة عبر أربع مراحل صعود هي: البعث والظهور والاستقلال والتمكين، وترتيبها بحسب النظرية كالتالي: السادسة والسابعة والثامنة والأولى، وهذه المراحل بالنسبة للأمة (A) تعتبر مراحل سقوط، فسبحان من داول الأيام بين الأمم في عملية تشبه التداول بين الليل والنهار يخلف أحدهما الاخر، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا ﴿٦٢﴾ ﴾ (الفرقان:٦٢)، ولو صح أن يكون النهار معبرا عن الأمة (A) والليل معبرا عن الأمة (B)، فالفجر هو البعث، والشروق هو الظهور، والصباح هو الاستقلال، والنهار هو التمكين، والعصر هو الانحسار، والغروب هو التفكك، والعشاء هو الانشقاق، والليل هو اللاوجود، ولكن بالنسبة إلى الليل والذي يعبر عن الأمة (B) فالعصر هو البعث، والغروب هو الظهور، والعشاء هو الاستقلال، والليل هو التمكين، فالليل يعتبر مرحلة لا وجود بالنسبة للنهار، والنهار يعتبر مرحلة لا وجود بالنسبة لليل، وهكذا يقلب الله الأيام بين الأمم كما يقلب الليل والنهار، ولكن تظل أية النهار هي المبصرة وأمة محمد صلى الله عليه وسلم هي نور الله للبشرية بما تحمله من رسالة وهداية ونور.

المبحث الثالث

خصائص كل مرحلة ومتطلباتها

أولا: خصائص ومتطلبات مرحلة اللاوجود

من خصائص ومواصفات هذه المرحلة:

١. الأمة (A) لا وجود لها بالمعنى الذي حددناه وإنما هي متواجدة كأفراد ومجموعات ضمن دائرة الأمة (B) وفي إطار منظومتها، حيث تكون الأمة (B) في قمة المنحنى والأمة (A) في أسفله.

٢. لا مواجهه مسلحة بين الأمتين وذلك لانعدام وجود الأمة (A) كأمة ذات كيان، وإذا حدث شيء من المواجهة فالتوصيف الصحيح لها أنها حروب واضرابات داخل الأمة (B) نفسها وليست مواجهة بين الأمتين.

٣. هذه المرحلة تسبق بعثة الرسل وتسمى بفترة الجاهلية، وتتكرر في دورة حياة أمة محمد صلى الله عليه وسلم عندما تصل للانهيار بعد تفتت كيانها الجامع.

والمطلوب الرئيسي في مرحلة اللاوجود هو: نفخ الروح في جسد الأمة وإحيائها من جديد، وثمرة إحياء روح الأمة هو تسجيل دورة حياة جديدة تبدأ بالبعث ثم تتدرج الأجيال القادمة في الصعود للوصول للتمكين، أو أن تلك الروح تعمل على إيقاظ الهمة لمعالجة عوامل السقوط والبدء في تفكيك مراحل السقوط مرحلة تلو الأخرى حتى الوصول للتمكين بتسجيل دورة حياة عكسية، وكلا الخيارين طريقهما طويلة وشاقة فقد تتطلب أجيالا وقرونا ولكن لا بديل عن ذلك.

ثانيا: خصائص ومتطلبات مرحلة البعثة

من خصائص ومواصفات هذه المرحلة:

١. في هذه المرحلة تنفخ الروح في الأمة (A)، وروح الأمة الإسلامية هي رسالة الإسلام، يحملها الرواد والمصلحون وتسري في الأفراد مكونة نواة صلبة تؤهلها لتحمل مراحل البناء والصعود.

٢. النواة المتكونة للأمة (A) لم تصل لتشكل أمة ظاهره فلا زالت دائرة صغيرة تحت منظومة الأمة (B)، ولكن البعث هذا يعتبر بداية انحسار للأمة الجاهلية.

٣. أغلب ما يتم في هذه المرحلة تحت الطاولة وبعيدا عن أنظار الأمة (B)، وطابعها العام السرية الشديدة، والاستقطاب للأفراد بعناية من داخل الأمة (B) لتوسيع نواة الأمة الجديدة.

٤. لا مواجهه مسلحة بين الأمتين، وذلك أولا لأن الأمة (A) لم تصل لدرجة أن تصبح مهدده للأمة (B)، ثانيا لأن المواجهة معناه إجهاض الجنين قبل أن يولد، وان حدثت مواجهات فتوصيفها الصحيح تمرد واضرابات داخل الأمة (B) وليست مواجهة بين الأمتين.

ومن متطلبات وواجبات مرحلة البعث:

١. المطلوب الرئيسي في هذه المرحلة هو الصعود للمرحلة الثالثة.

٢. اعتماد القران الكريم والسنة الصحيحة مصدرا للتربية والتلقي وخاصة تلك التي لها علاقة بهذه المرحلة كالسور المكية التي نزلت في ظروف مشابه لهذه المرحلة، واعتبار محتواها متطلب من متطلبات هذه المرحلة.

٣. تصحيح المبادئ والقيم والعقائد الخاطئة التي تتبناها الأمة (B)، وغرس جيل جديد بمبادئ الإسلام وعقائده وتصوراته السليمة، لأن التصورات الغير صحيحة تنشئ أفرادا غير صالحين سلوكيا، والأفراد الغير صالحين يشكلون مجتمعات خربانة، والدول المتكونة من مجتمعات وأفراد غير صالحة ستكون حتما غير صالحة.

٤. الصبر والتحمل والتوكل على الله وعدم الاستعجال أو الانشغال بمتطلبات المراحل الأخرى، ويجب أن تأخذ هذه المرحلة وقتها من التربية الايمانية وبناء الطلائع التي ستكون بمثابة روح جديدة تسري في الأمة فتبعث فيها الحياة.

ثالثا: خصائص ومتطلبات مرحلة الظهور والتكون

من خصائص ومواصفات هذه المرحلة:

١. حدوث تمايز بين الأمتين حيث تظهر الأمة (A) بروحها الجديدة وتجهر بمبادئها ومنهجها، وتبدأ ككيان له منظومته الخاصة ولكنه ظهورا لا زال ضمن دائرة الأمة (B).

٢. الأمة تكون على شكل جماعة في هذه المرحلة، فهي مستمرة في بناء الأفراد ولكن مع الاهتمام بكل ما له علاقة بالحياة الجمعية.

٣. لا مواجهة مسلحة بين الأمتين، والذي يحدث هو إفراط الأمة الجاهلية في استخدام القوة تجاه الأمة الجديدة لأنها تعتبرها مهددا لها، ونتيجة لهذا التصرف تفقد الأمة (B) ما بقي لديها من رصيد قيمي وأخلاقي، وتتحمل الأمة (A) ما لا يخطر على البال من الظلم في ظل تمسكها بعدم المواجهة المسلحة.

ومن متطلبات وواجبات مرحلة الظهور:

١. المطلوب الرئيسي في هذه المرحلة هو الصعود للمرحلة الرابعة.

٢. اعتماد القران الكريم والسنة الصحيحة مصدرا للتربية والتلقي وخاصة تلك التي لها علاقة بهذه المرحلة كالسور المكية التي نزلت في ظروف مشابه لهذه المرحلة، واعتبار محتواها متطلب من متطلبات هذه المرحلة.

٣. الصبر والتحمل والتوكل على الله ومنع أي ردة فعل متهورة تجر للمواجهة، والشجاعة في تبليغ رسالة الإسلام وبث هذه الروح عبر الأفراد لتسري إلى المجتمعات فتصبح روحا جماعية.

٤. البحث عن طريقة لتجاوز الاستئصال كمصير تفرضه ردة فعل الأمة الجاهلية.

رابعا: خصائص ومتطلبات مرحلة الاستقلال

من خصائص ومواصفات هذه المرحلة:

١. تخرج الأمة (A) مستقلة بذاتها عن الأمة (B) وهذا الاستقلال يشكل انقساما بالنسبة للأمة المقابلة (B).

٢. تتحول الأمة (A) من كونها جماعة ضمن دائرة الأمة (B) إلى دولة لها دائرتها الخاصة بمؤسساتها العسكرية والمدنية، وفي هذه المرحلة يتم البدء بتنفيذ الأحكام وإقامة الحدود عبر مؤسسة القضاء وتقوم المؤسسة العسكرية بمهمتها في الدفاع عن الأمة وكيانها، ولقد كان الفقهاء دقيقين جدا في اشتراطهم لوجوب الجهاد وتنفيذ الحدود وإقامة القصاص بوجود الخليفة أو الامام، وفلسفة مراحل دورة حياة أمة محمد صلى الله عليه وسلم تتفق مع هذا الفقه، من حيث لا مواجهة مسلحة في المراحل الثلاث من الدورة ليس لعدم وجود الإمام أو الخليفة ولكن لأنه لا وجود للأمة في مرحلتها الأولى ولأنها لا تمتلك مقومات المواجهة في مرحلتها الثانية والثالثة.

٣. تتميز هذه المرحلة بالصراع حيث تخوض الأمة حروبا دفاعية، ويكون هذا الصراع بمثابة تمحيص لها ومحق للأمة الجاهلية، ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (آل عمران: ١٤١).

٤. في هذه المرحلة يبدأ تواجد النفاق في جسد الأمة على شكل أفراد أو مجموعات.

ومن متطلبات وواجبات مرحلة الاستقلال والدولة:

١. المطلوب الرئيسي في هذه المرحلة هو الصعود للمرحلة الخامسة.

٢. اعتماد القران الكريم والسنة الصحيحة مصدرا للتربية والتلقي وخاصة تلك التي لها علاقة بهذه المرحلة كالسور المدنية التي نزلت في ظروف مشابه لهذه المرحلة، واعتبار محتواها متطلب من متطلبات هذه المرحلة.

٣. الانتقال من التفكير بعقلية المراحل السابقة بما في ذلك السرية التي كانت تتطلبها تلك المراحل، والتحول من الجماعة إلى الدولة والبدء ببناء مؤسسات الدولة كلها كالجيش والمدارس والجامعات والمساجد والقضاء والاقتصاد والعلاقات الخارجية والصحة والاستخبارات والصناعات الحربية والمدنية وغيرها.

٤. المرحلة تتطلب الصبر والتضحية والحذر من أن تكون الدنيا والملك هو الغاية من تلك التضحيات.

٥. سن القوانين المتعلقة بكل القضايا ووضع السياسات والتشريعات العادلة اعتمادا على نصوص القران والسنة الصحيحة والاستفادة من الثروة التشريعية التي خلفتها هذه الأمة عبر العصور.

خامسا: خصائص ومتطلبات مرحلة التمكين

من خصائص ومواصفات هذه المرحلة:

١. هذه مرحلة ازدهار واستقرار ورخاء ونهضة في التشريع والحكم والفكر، والتطوير للمؤسسات العسكرية والمدنية.

٢. تنتهي المواجهة المسلحة مع الأمة (B) لأنها أصبحت كيانات وأفراد ضمن دائرة الأمة (A) الجديدة المنتصرة، وأي محاولة منهم للمواجهة فإن مصيرها الفشل لانعدام كيانهم كأمة والذي كان يعتبر ملجأهم ونصيرهم، ﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ (الفتح: ٢٢).

٣. تبدأ الأمة (A) مرحلة مواجهة مع الأمم الأخرى غير الأمة الجاهلية (B)، ويميز هذا الصراع عن صراع المرحلة السابقة أنها حروب هجومية وليست دفاعية، وكلما طالت فترة هذه المرحلة تحولت الأمة إلى امبراطورية عظمى.

٤. يستمر تواجد النفاق في هذه المرحلة وربما يتزايد هذا التواجد بحكم عدم وجود كيان يشجعهم على إظهار رفضهم للمنظومة الجديدة المنتصرة.

ومن متطلبات وواجبات مرحلة التمكين:

١. المطلوب الرئيسي في هذه المرحلة هو الحفاظ على البقاء في هذه المرحلة ومنع الانحدار.

٢. اعتماد القران الكريم والسنة الصحيحة مصدرا للتربية والتلقي وخاصة تلك التي لها علاقة بهذه المرحلة كالسور المدنية التي نزلت في ظروف مشابه لهذه المرحلة، واعتبار محتواها متطلب من متطلبات هذه المرحلة.

٣. استكمال بناء مؤسسات الأمة وتطويرها وبناء منظومة متكاملة تليق بالدور الحضاري لأمة تحمل رسالة الله ومنهجه للبشرية.

٤. هذه مرحلة شكر لله تعالى لأن واجب تمام النعمة إنما هو الشكر، فتعترف القلوب لله بالفضل وتلهج الألسنة له بالحمد وتترجم معانيه عملا في كل مؤسسات الأمة، وقد وجه الله أمة بنى إسرائيل في مرحلة التمكين في عهد سليمان عليه السلام بقوله: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ (سبأ:١٣)، فالشكر يزيد النعمة ويديمها.

٥. تفعيل ضمير الأمة الحي الذي يدعوا لتقويم الاعوجاج بالسيف، حتى إذا ما حدث انحراف في غفلة يكون هذا الجهاز كجرس إنذار، وعدم اتاحة الفرصة لمن يريد أن يفرق الأمة الواحدة أو يخلل صفوفها حتى لو كان ذلك بدعوى بناء المساجد، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ

حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾ (التوبة:١٠٧).

٦. يجب أن تلتفت الأمة لكل مجالات الحياة وألا تنشغل بجانب على حساب الجوانب الأخرى حتى لو كان هذا الجانب هو الجهاد، وذلك لأن الأمة لا بد أن تقدم للبشرية حضارة أرقى وأقوى وأكثر عدلا وانسانية من الحضارة التي ورثتها، ﴿ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴾ (التوبة:١٢٢).

٧. هذه مرحلة تشريعية وقانونية بامتياز ويجب تطوير مؤسسات التشريع ووضع ضمانات لتنفيذها على الكبير والصغير والقوي والضعيف والحاكم والمحكوم، فيأمن الجميع على حقوقهم وحرياتهم ويتذوق غير المسلمين ثمرة العدل قبل المسلمين، وتكون الأمة الإسلامية هي ملجأ كل مظلوم في أي مكان وعلى أي دين، ويعيش الانسان مهما كانت ديانته بل حتى الشجر والحجر والحيوان يجب أن تشملهم هذه الرحمة، ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ (الانبياء:١٠٧).

سادسا: خصائص ومتطلبات مرحلة الانحسار

من خصائص ومواصفات هذه المرحلة:

١. الانغماس في مظاهر الترف وحب الدنيا وكراهية الموت، ويبدأ الفساد المالي والإداري ينتشر في المؤسسات، كل ذلك نتيجة الإعراض عن شكر الخير الذي ألفوه في مرحلة التمكين.

٢. ينشط النفاق وتظهر الردة وتبدأ الاضطرابات الداخلية، وظهور الردة يعتبر مرحلة بعث وعودة للأمة الجاهلية (B) لكنها لا تزال في حدود وإطار منظومة الأمة (A).

ومن متطلبات وواجبات مرحلة الانحسار والردة:

١. المطلوب الرئيسي في هذه المرحلة هو معالجة الانحسار لضمان عدم السقوط للمرحلة القادمة، وحسم موضوع الردة، ومعالجة كل التجاوزات التي سببت هذا الانحسار، وتعزيز الولاء للأمة وعدم التهاون مع العمالة والخيانة.

٢. والمطلوب الرئيسي الثاني هو محاولة الرجوع لمرحلة التمكين، بالاعتصام بالقران والسنة الصحيحة وعدم الازدواج في تطبيق العدالة، وحسم طريقة انتقال الملك باختيار منهجية ترتضيها كل الأمة وتشكيل قوة حامية مهمتها ضمان تنفيذ هذه الألية.

سابعا: خصائص ومتطلبات مرحلة التفكك

من خصائص ومواصفات هذه المرحلة:

١. توسع الاختلالات وضعف في المؤسسات وتفكك الأطراف عن المركز، هذا التفكك يمثل ظهور وتكون للأمة الجاهلية (B) فتظهر بمنظومتها وروحها التي تميزها عن الأمة الإسلامية.

٢. تتنكر الأمة الاسلامية لروحها ورسالتها التي كانت سببا لبعثها وظهورها واستقلالها وتمكينها، مما يتيح لنفخ روح جديدة في أمة تتهيأ للاستقلال من داخلها.

ومن متطلبات وواجبات مرحلة التفكك:

١. المطلوب الرئيسي في هذه المرحلة معالجة التفكك لضمان عدم السقوط للمرحلة القادمة، بعدم التهاون مع الخيانة إن ثبتت، ويجب الحذر من ممارسة الظلم بحجة القضاء على التمرد، ويجب تفعيل مبدأ الخليفة الراشد الأول أبو بكر الصديق «الضَّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيٌّ عِنْدِي حَتَّى أُرِيحَ عَلَيْهِ حَقَّهُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَالْقَوِيُّ فِيكُمْ

ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ»[٣٩]، وارتضاء القران الكريم والسنة الصحيحة حكما عند الاختلاف، وتفعيل التشريعات العادلة في توزيع الثروة.

٢. والمطلوب الرئيسي الثاني هو محاولة الرجوع لمرحلة التمكين، باتخاذ إجراءات معالجة الفساد والاستبداد ولو كانت تلك المعالجات قاسية ومؤلمه إذ قد يتطلب الأمر تغييرات جذرية لمن ثبت ضرر استمراره في موقعه، ويجب إحياء روح الجهاد والتخلص من مظاهر الترف والبذخ، والتربية على الزهد ومعاني الإيمان.

ثامنا: خصائص ومتطلبات مرحلة الانقسام

من خصائص ومواصفات هذه المرحلة:

١. تنقسم الأمة الإسلامية (A) ويكون نتيجة هذا الانقسام هو خروج الأمة الجاهلية (B) من داخلها مستقلة بذاتها لها روحها ومنظومتها الخاصة.

٢. تتميز هذه المرحلة بأنها مرحلة صراع بين الأمة (A) التي تنكرت لروحها وبين الأمة (B) الجديدة، وتستغل باقي الأمم التي لها عداوة مع الأمة (A) في تقوية الأمة (B) فتخرج من هذا الصراع منتصرة بينما تنهار الأمة الإسلامية وتعود لمرحلة اللاوجود من جديد.

ومن متطلبات وواجبات مرحلة الانقسام:

١. المطلوب الرئيسي في هذه المرحلة هو عدم العودة لمرحلة اللاوجود من جديد، وهذا يتطلب عدم الاستسلام للأمة (B) ومقاومة الوهن واختيار طريق المواجهة بدل التنازل ولو كان فيها بذل النفوس والأرواح ومخاطرة بالملك والمال، ويجب فتح الخزائن وفتح الأيدي بالعطاء وإخراج الأموال المكنوزة في بيوت المال وعند الملوك وفي حانات التجار وبذلها في سبيل الله وإعداد القوة والانفاق على المجاهدين، والحذر من البخل والتمسك بالدنيا والاغترار بها والهروب من الموت، لأن تكلفة

(٣٩) ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن المحسن التركي، دار هجرة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٧م، المجلد ٨، صفحة ٨٩.

الاستسلام والخلود للدعة والراحة أكبر من تكلفة اقتحام الموت وبذل الأموال، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٣٩ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٤٠ ﴾ (التوبة: ٣٨-٤٠).

المبحث الرابع

براهين إثبات نموذج دورة حياة أمة محمد ﷺ

أولا: الاستدلال من القران الكريم

الانسان لا يملك الإحاطة بأحوال الناس الذين يعيش معهم ويدرك ظروفهم ودقائق أسرارهم ولا يستطيع أن يستوثق من كل الأحداث التي وقعت في عصره، لأن هذا يتطلب وجود مؤسسات وتقنيات عملاقة، فإذا كان كذلك بما يخص حاضره فكيف له أن يحيط بأسرار وأحداث الأمم والشعوب الماضية وليس أمامه إلا روايات مكتوبة قد لا تكون دقيقة لكي يتم بناء نظرية عليها، إنه لا يمكننا إلا أن نعترف بعجزنا وحاجتنا لنور الوحي الذي جاءنا من خارج حدود الكون ﴿ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ٤ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ٦ وَإِن تَجۡهَرۡ

﴿ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨ ﴾ (طه: ٤ – ٨) ، إنه الكمال المطلق، وكل ما جاءنا منه يعتبر أكمل العلوم وأصدق الأخبار وأدق التوصيف وأقوى البراهين.

في القران الكريم سورة كاملة تسمى بسورة محمد، هذه السورة الكريمة رسمت نموذجا لدورة حياة أمة محمد صلى الله علية وسلم، وتسميتها بسورة محمد أكثر مناسبة لموضوعها من تسميتها بسورة القتال، وذلك لأنها أشارت لمراحل حياة الأمة التي كان على رأسها محمد صلى الله عليه وسلم.

ابتدأت السورة المباركة بذكر ملامح وخصائص الأمة الجاهلية والأمة المسلمة، وصيغة الجمع في (الذين كفروا) و (الذين أمنوا) يوحي بأن الوصف ليس للأحاد بل هو ذكر ملامح أمة جاهلية موجوده مسبقا ظهرت منها أمة مسلمة متميزة بملامحها التي تخصها، ونحن نطلق عليها مرحلة الظهور والتكون، وسبب ابتداء السورة بـ (الذين كفروا) لأنهم الأمة الجاهلية وهي سابقة لوجود الأمة الإسلامية، فالابتداء بالذين كفروا يشير ضمنا لمرحلة اللاوجود عندما كان الناس أمة واحدة على الجاهلية، ولمرحلة البعثة لأنها تالية للجاهلية وسابقة لمرحلة الظهور التي ابتدأت بها السورة، وأبرز ملامح الأمة الجاهلية التي تذكرها السورة ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾(محمد: ١)، والصد عن سبيل الله يحمل معنى محاولة الأمة الجاهلية إجهاض ظهور الأمة الإسلامية ومنع تكونها، أما ملامح أمة محمد صلى الله علية وسلم فأبرزها ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ (محمد: ٢)، ومما تتمايز به الأمتين عن بعضهما البعض ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ ﴾ (محمد: ٣)، واختتمت الآيات هذه المرحلة بقوله تعالى﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ

﴿ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمۡثَٰلَهُمۡ ﴾ (محمد: ٣)، «والضمير في أمثالهم يعود للذين كفروا والذين أمنوا»(٤٠)، ولفظ (أمثالهم) مفعول به للفعل يضرب، والمعنى كذلك يضرب الله أمثال هؤلاء الفريقين للناس، والآية توحي بأن مثل هؤلاء الفريقين قد يتكرروا في دورات التاريخ بنفس المواصفات، وهذا يعني أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم قد تمر بمرحلة مماثلة لهذه المرحلة في دورة حياة أخرى غير هذه الدورة.

ثم تأتي الآيات تشير بوضوح لمرحلة الالتقاء بين الأمتين ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ ﴾ (محمد: ٤)، فالآية تسمي المرحلة وتذكر متطلباتها، فلكي تنجح الأمة في خروجها من دائرة الأمة الجاهلية وتنجح في الاستقلال التام كان لابد من أن يكون هذا الالتقاء حاسما، إذ لا جدوى من أن يكون لديها أسرى حرب وهي لم تستقل بعد عن الأمة الجاهلية فهي لا تزال في خطر وجودي، وبالتالي فالمطلوب هو ضمان نجاح الاستقلال ولا يكون هذا إلا بالإثخان في الامة الجاهلية لتضعف قوتها فلا تستطيع إجهاض هذا الاستقلال، فإذا ما ضمنت الأمة نجاح خروجها من دائرة الأمة الجاهلية مستقلة بكيانها فلها أن تتخذ أسرى على طول فترة صراعها مع الجاهلية ولها أن تفاوض بهم إما منا وإما فداء، ولو يشاء الله لخرجت أمة محمد صلى الله عليه وسلم مستقلة بدون لقاء مع الأمة الجاهلية وبدون مواجهه ولكنها سنة الله في التدافع بين الأمم، فيبتلى الأمة الراغبة في الاستقلال لتدفع الضريبة وتؤهلها الأحداث فتخرج قادرة على القيام بدورها كأمة جديدة، ويبتلى الأمة الجاهلية جزاء تفريطها الذي أوصلها لتكون غير صالحة للبقاء كأمة.

(٤٠) محمد احمد القرطبي، الجامع لأحكام القران، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، المجلد ١٦، صفحة ٢٢٥.

في فترة الصراع هذه والتي كان بدايتها نقطة الالتقاء وخروج أمة محمد صلى الله عليه وسلم مستقلة سوف تسقط الأرواح من الأمتين، فما مصير تلك الأرواح؟، توضح الآيات مصير الذين قتلوا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ (محمد: ٦-٤)، ثم تشير الأية التالية بأن النصر استحقاق عزيز يتطلب تضحية لله بالأنفس والأموال﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (محمد: ٧)، أما مصير الذين سقطوا من الأمة الجاهلية ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ (محمد: ٨) والسبب ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ (محمد: ٩)، ثم تدعوا الآيات الأمة الجاهلية لتتأمل مصير الأمم التي تشبهها تماما في أعمالها، وها هي تشاهد أثارهم وتتلقى أخبارهم كيف دمر الله عليهم، وكيف كانت نهايتهم الانهيار ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴾(محمد: ١٠)، وللكافرين أمثالها: أي «لهؤلاء الكفار من قريش مثل عاقبة من قبلهم من الأمم»[٤١]، فنتيجة التشابه في الأفعال تشابه في المصير، وقيل للكافرين بشكل عام أي «للسائرين بسيرة من قبلهم من الكفار»[٤٢]، وعلى القول الثاني سيكون التدمير والانهيار عاقبة أمثالهم في كل دورات التاريخ، ثم تأتي الآية التالية لتوحي بأن فترة الصراع هذه وإن طالت فهي لصالح أمة محمد صلى الله علية وسلم لأنها تأوي إلى ركن قوى، وأن الأمة الجاهلية مكشوفة بلا ركن يمدها وستنهار بمجرد انتهاء رصيدها السابق، ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ (محمد: ١١)، وهذا تماما كان رد الرسول صلى الله عليه وسلم لقيادة الأمة الجاهلية بعد معركة أحد بقوله: الله مولانا ولا مولى لكم.

(٤١) محمد علي الشوكاني، فتح القدير، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، المجلد ٥، صفحة ٣٥.
(٤٢) محمد صديق القنوجي، فتح البيان في مقاصد القران، المكتبة العصرية للطباعة ، بيروت، ١٩٩٢م، المجلد ١٣، صفحة ٥٦.

واذا كان مصير الذين قضوا نحبهم من أمة محمد صلى الله عليه وسلم هو الجنة تأتي الآية تقرر بأن من بقي منهم متمسكا بإيمانه وصلاحه فله نفس المصير ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ ﴾ (محمد: ١٢)، واذا كان مصير الذين قتلوا من الأمة الجاهلية تعيسا، فحياة من بقي منهم مجرد حياة حيوانية نهايتها نفس المصير ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴾ (محمد: ١٢).

ثم تأتي الآية تلمح بمرحلة جديدة بعد مرحلة الاستقلال والصراع وهي هلاك الأمة الجاهلية، وهذا فيه إشارة ضمنية لمرحلة التمكين لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، وانهيار الأمم عندما تستوفي عوامل الانهيار ليس جديدا ولا غريبا في دورات التاريخ، ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ ﴾ (محمد: ١٣)، ثم يأتي الاستفهام ليقرر عدم استواء الأمتين في حياتهما، لأن الأولى تدير حياتها بالبينة الواضحة التي وضعها الله تعالى لها، والثانية تدير حياتها على الوهم متنصله من كل الضوابط إلا المزاج واتباع الهوى، ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴾ (محمد: ١٤)، وكما أن الفريقين لا يستويان في الحياة فهما كذلك لا يستويان بعد الممات، ﴿ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ﴾(محمد: ١٥)، ثم يأتي ذكر النفاق والمنافقين وهي ظاهرة لا توجد في المراحل الأولى من حياة الأمة وإنما يبدأ تواجدها من مرحلة الاستقلال وتتوسع في مرحلة التمكين، وعلى الرغم من أن المنافقين يعيشون في جسد الأمة المسلمة وتمر عليهم آيات القران الكريم وتصل إليهم مسببات الهداية بنفس القدر الذي يصل لباقي أفراد الأمة إلا أنهم لا ينتفعون﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ

﴿ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴾ (محمد: ١٦)، والضمير في (ومنهم) يعود للذين كفروا أي ومن الذين كفروا صنف يستمع إليك وهم المنافقون، فالآية ألحقت المنافقين بالأمة الجاهلية مع أنهم داخل الأمة الإسلامية ومحسوبين عليها إلا أنه انتماء ظاهري وادعاء لفظي يكذبه الباطن ونتائج الأفعال، ثم إنهم منهم لتشابههم في المصير بعد الموت، أما الذين اهتدوا فآيات القران تزيدهم هدى ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴾ (محمد: ١٧)، ماذا ينتظر هؤلاء المنافقين لكي يكونوا أعضاء لصالح الأمة لا عليها ﴿ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ ذِكۡرَىٰهُمۡ ﴾ (محمد: ١٨)، ثم يتوجه الخطاب للنبي محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴾ (محمد: ١٩)، وتستطرد الآيات في بيان حال المنافقين وتخبرهم بما هو أولى أن يفعلوه وتحذرهم من الفساد الذي يمارسوه وتدعوهم لتدبر آيات القران الكريم، كل هذا كنوع من المناعة ضد هذا الداء لتحافظ الأمة على بقائها في مرحلة التمكين، ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُۙ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٠ طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ٢١ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ٢٣ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤ ﴾ (محمد: ٢٤-٢٠).

ثم تشير الآيات لمرحلة ما بعد التمكين وهي مرحلة الانحسار، وأول مظاهر الانحسار ظهور الردة، وهي رجوع أفراد أو مجموعات عن الإسلام وتحولهم للكفر، فإذا كانت أبرز خصائص

الأمة الجاهلية التي أشارت إليها السورة في بدايتها هي الكفر وكراهية ما أنزل الله والصد عن سبيل الله فهؤلاء المرتدين تساووا معهم في تلك الخصائص، ولهذا تعتبر الردة هي النواه الأولى لنشأة الأمة الجاهلية من جديد، وتذهب الآيات في تتناول هذه المرحلة أبعد من مجرد الإشارة بل تشخص المظاهر وتعدد الأسباب وتضع التوجيهات والعلاج، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾ (محمد: ٢٨-٢٥)، وتعود الآيات لذكر المنافقين ولكن بعبارات توحي بأن هؤلاء المنافقين قد ربما يتطور وضعهم ويخرج الله أضغانهم ويظهروا على حقيقتهم، وهذا يعني تحولهم من كونهم منافقين إلى كونهم مرتدين، وهذا التحول يعني تحالف النفاق مع الردة بشكل علني فتتوسع نواة الأمة الجاهلية التي بدأت تتشكل داخل كيان الأمة الإسلامية، وهذا يعني أننا في مرحلة تفكك للأمة المسلمة وظهور للأمة الجاهلية، ولأن الأيات أثناء نزولها لم تكن الأمة قد وصلت لهذه المرحلة فقد خاطب الله نبيه صلى الله عليه وسلم بأنه لو شاء لأخرج أضغان المنافقين وكشفهم ولكن بإمكانه معرفتهم بلحن أقوالهم، ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَـٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴾ (محمد: ٣٠-٢٩).

فإذا ما خرجت تلك الأضغان وكشف المنافقين عن أنفسهم وتمكن الناس من رؤيتهم فإن هذا يعني تحولهم من كونهم منافقين إلى كونهم مرتدين وبالتالي تتوسع دائرة الردة وهذا تماما هو ظهور للأمة الجاهلية من جديد بملامحها الخاصة ككيان واضح المعالم داخل دائرة الأمة الإسلامية، وهذا يعني انحدار الأمة المسلمة لمرحلة التفكك، إن هذا التحول هو ابتلاء

للأمة الإسلامية لتعود للجهاد ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴾ (محمد: ٣١).

ثم تأتي الآيات لتصف بالدقة الأمة الجاهلية المتكونة من جديد، حيث تظهر بوضوح وبنفس المعالم والصفات التي كانت عليها الأمة الجاهلية الأولى، كالكفر والصد عن سبيل الله، ولكن هناك صفة جديدة يختلفون بها عن الجاهلية الأولى وهي أنهم شاقوا الرسول بعد أن كانوا جزء من أمته، وعبارة (شاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى) هي أدق وصف لمرحلة الانقسام وهي المرحلة الأخيرة من دورة حياة الأمة الإسلامية، حيث تخرج الأمة الجاهلية من نفس الأمة التي كانت جزءا منها وهذا يصدق عليه وصف (من بعد ما تبين لهم الهدى)، وتنشق ككيان موازي للأمة التي أنشأها محمد صلى الله عليه وسلم وهذا يصدق عليه وصف (وشاقوا الرسول) وكأنهم في شق ورسول الله في شق اخر، وهذا هو فعلا ما يحدث في هذه المرحلة، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ (محمد: ٣٢).

وتختم السورة بحقائق مهمة وتوجيهات ضرورية كمتطلبات لا بد منها في مرحلة الانقسام لمنع انهيار الأمة الإسلامية مجددا والعودة لمرحلة اللاوجود، حيث يدعوا الله من بقي من الأمة للرجوع لطاعته وطاعة رسوله ويحذرهم من ابطال أعمالهم بالردة ويذكرهم مصير الذين غدروا بالأمة الإسلامية وماتوا على كفرهم، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ (محمد: ٣٤-٣٣)، ثم يستنهض الله همم الأمة الإسلامية ويحذرهم من الاستسلام وترك الجهاد، ويدعوهم لبذل النفوس رخيصة لله ويوضح لهم حقيقة الدنيا الزائلة وأن ما عند الله خير، ويدعوهم لبذل الأموال ويحذرهم من البخل، ﴿ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ

وَلَهۡوٞۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤۡتِكُمۡ أُجُورَكُمۡ وَلَا يَسۡـَٔلۡكُمۡ أَمۡوَٰلَكُمۡ ﴿٣٦﴾ إِن يَسۡـَٔلۡكُمُوهَا فَيُحۡفِكُمۡ تَبۡخَلُواْ وَيُخۡرِجۡ أَضۡغَٰنَكُمۡ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ ﴾(محمد: ٣٨-٣٥)، فكراهية الموت وحب الدنيا وترك الجهاد والبخل بالأموال كلها عوامل مالم تتخلص منها الأمة فإن مصيرها الاستبدال، فيستبدل الله لدينه ولرسالته قوما يحبهم ويحبونه ولا يكونوا أمثال من سبقهم، يقومون بمعالجة كل مراحل الانحدار حتى يعودوا بالأمة إلى مرحلة التمكين في دورة جديدة هي دورة الاستبدال، أو يبعث الله لدينه ورسالته رجالا يصنعهم على عينه فيقوموا بالصعود مرحلة تلو مرحلة حتى يصلوا بالأمة إلى مرحلة التمكين في دورة جديدة هي دورة البعث ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ﴾ (محمد: ٣٨).

بالرغم من أنه لا يمكننا القطع في فهمنا لتلك الإشارات القرآنية في سورة محمد التي أشارت لدورة حياة أمة محمد ﷺ، وذلك لأنها لم تنص صراحة على تسمية تلك المراحل، وبالتالي يظل الاستدلال بها في دائرة الفهم الظني المحتمل، ولكنها تجليات يصح أن تكون نقطة مضيئة لتأسيس نموذج لدورة حياة أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

ثانيا: برهان القياس البنيوي

الإنسان يمر في حياته بأطوار متسلسلة حيث يبدأ من اللاوجود ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ﴾ (الإنسان: ١)، ثم يبعث مولودا ثم يتدرج صاعدا حتى يصل لنقطة يجتمع لديه فيها القوة والعقل وهذه قمة المنحنى ثم يتدرج منحدرا بعد الكمال حتى يصل إلى اللاوجود من جديد، ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ﴾ (الروم: ٥٤)

، فالقوة مرحلة وسط تمثل قمة المنحنى يسبقها مراحل صعود ويتبعها مراحل انحدار، وانتهاء دورة حياة الانسان باللاوجود هو بداية دورة جديدة وحياة أخرى تبتدأ من حيث انتهت الدورة الأولى، فالموت هو مغادرة الحياة كدورة أولى للدخول في دورة حياة أخرى ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ (طه: ٥٥)، وهكذا حياة الأمم تبدأ من اللاوجود ثم تبعث ثم تتدرج صعودا حتى مرحلة اكتمال القوة والرشد في مرحلة التمكين ثم تعود منحدرة في مراحل حتى تصل لمرحلة اللاوجود كمرحلة أولى من دورة جديدة، فالانهيار الذي تنتهي به الأمة في دورة حياتها الأولى هو مغادرة لتلك الدورة والدخول في دورة جديدة.

وفي عالم النبات والأشجار من حولنا فقد نمر على الوديان والهضاب وهي جدباء لا زرع فيها وذلك عندما تكون النباتات مغيبة تحت التربة على شكل بذور فإذا ما تهيأت لها الظروف وجاءت الأمطار بُعثت، فنرى تلك الأراضي التي كانت يابسة قد اكتست بالخضرة وعادت لها الحياة من جديد، ولكنها سرعان ما تعود أراضي يابسة وتصبح مغيبة مرة أخرى كبذور تحت الأرض في دورة حياة جديدة، ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾(الروم: ١٩)، فالنباتات الميتة كبذور تحت التراب تخرج منها الحياة، والنباتات الممتلئة بالحياة تعود على شكل بذور ميته تحت التراب، والأمة المنهارة تخرج منها أمة حية قوية والأمة القوية تنحدر مجددا فتعود منهارة.

والقمر يبدأ غائبا لا يُرى في أول الشهر ثم يتدرج في الظهور منازلا حتى يكتمل بدرا ثم يعود متناقصا بنفس منازل الصعود ولكن بطريقة عكسية حتى يتوارى غائبا من جديد ليسجل بذلك الغياب بداية شهر جديد.

وهكذا يتجلى في هذه السنة الكونية اسمان كريمان من أسماء الخالق العظيم (المبدئ والمعيد)، ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ﴾ (البروج:١٣)، ﴿ قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾ (يونس: ٣٤).

إن هذا القانون يسمى بالقياس البنيوي، حيث يتم استعماله للربط بين مجالين أو نظامين بهدف فهم أحدهما بناء على توفر المعرفة عن الأخر، وقد استخدمه –إرنست رذرفورد– عندما أراد استكشاف النظام الذري حيث شبه الذرة بالنظام الشمسي، وذلك ليوفر فهم بديهي لبنية الذرة لأنها كانت غير قابله للإدراك المباشر في حين أن النظام الشمسي كان معروفا منذ زمن طويل، فقد افترض أن الذرة نواة موجبه تدور حولها الالكترونيات السالبة تماما كما تدور الكواكب حول الشمس(٤٣)، لقد كانت هذه النظرية عن الذرة خطوة ثورية في فهم الذرة، صحيح أن هذا التفسير اليوم لم يعد وصفا دقيقا للذرة، ولكن التطور الذي حصل في فهم بنية الذرة كانت بدايته تشبيه النظام الذري بنظام المجموعة الشمسية.

هذا النوع من القياس ليس برهانا قويا لإثبات النظريات، لكنه يفيد في الاكتشاف والابتكار، فهو أداة للاكتشاف لا للإثبات، وقد استخدمه أرسطو عندما شبه الدولة بالكائن الحي لها أعضاء ولها وظائف، واستخدمه ابن خلدون عندما اعتبر الدولة تمر بمراحل طبيعية كما يمر الانسان، واستخدمه أوزوالد شبنجلر حيث اعتبر الحضارات كالكائنات الحية تولد وتنمو وتشيخ وتموت.

ثالثا: برهان استخدام المناهج العلمية

إنه من الصعب استخدام المنهج التجريبي في دراسة تاريخ الأمم، وذلك لأن التجريب قائم على تكرار التجربة، وتاريخ الأمم يستحيل إعادته بنفس الظروف والأشخاص والأحداث،

(٤٣) Christian Plantin, STRUCTURAL ANALOGY, on icar.cnrs.fr, October ٢٠٢١, https://icar.cnrs.fr/dicoplantin/analogy-iii-structural-analogy

ولهذا لجأ الباحثون لاستخدام مناهج علمية أخرى لاختبار صحة نظرياتهم في هذا المجال، ومن أهم المناهج العلمية المستخدمة في دراسة تاريخ الأمم:

(١) المنهج المقارن: وذلك بمقارنة تاريخ أمم مختلفة لاستخلاص القواسم المشتركة.

(٢) المنهج التاريخي التحليلي: وذلك بدراسة تاريخ الأمم وتفسير الظواهر وتحليل الأحداث ومن ثم تسجيل النتائج.

ما فعله ابن خلدون هو عبارة عن تحليل تاريخي لدول مختلفة حيث حاول أن يدرس الظواهر ويفسرها ويحللها ثم قام بمقارنتها بين أكثر من دولة، فهو بهذا يكون قد استخدم المنهجين في بناء نظريته، ومثله فعل توينبي حيث قام بتحليل أكثر من ٢٠ حضارة تاريخية وقارن بينها وخرج بنظرية التحدي والاستجابة لتفسير صعود وسقوط الحضارات.

وفي هذه الدراسة قمنا بتحليل تاريخي لأمتين من الأمم، تاريخ أمة بنى إسرائيل من عهد موسى عليه السلام وحتى وفاة سليمان عليه السلام، وتاريخ أمة محمد عليه السلام منذ بعثته صلى الله عليه وسلم وحتى وفاته، وعند المقارنة بين الأمتين رأينا تشابه كبيرا في مراحل الصعود حتى الوصول لمرحلة التمكين.

فعند دراسة تاريخ بنو إسرائيل يتضح أنهم كانوا يمثلون الأمة (A) في حين كان فرعون وقومه يمثلون الأمة الجاهلية (B)، فأمة بنى إسرائيل عبر كل مراحل صعودهم حتى وفاة نبي الله سليمان عليه السلام كانوا يمثلون الأمة الإسلامية، فموسى عليه السلام في مرحلة البعث يسمي أتباعه مسلمين ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ (يونس: ٨٤)، وسليمان عليه السلام أثناء توسع أمة بنى اسرائيل في مرحلة التمكين يدعوا باقي الأمم للانضمام للأمة المسلمة، ﴿ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ (النمل: ٣١).

لقد عاش بنو إسرائيل قبل بعثة موسى عليه السلام **مرحلة اللاوجود** وهي مرحلة الجاهلية، وكانت فيها الأمة الجاهلية بقيادة فرعون في مرحلة تمكينها وعزتها وعلوها، وقد كان بنو إسرائيل جزءا من هذه الأمة الجاهلية تحت منظومتها وحكمها، لكنهم أمة مستضعفه في عبودية تامه للأمة الجاهلية، وهذا هو ما نصفه بمرحلة اللاوجود، لأنه وجود لا معنى له، فهو وجود بلا تأثير ولا روح ولا كيان جامع ولا قيادة.

لقد حاولت الأمة الجاهلية بقيادة فرعون وملائه أن يضمنوا لأمتهم البقاء في علوها وتمكينها عبر القضاء على كل العوامل والأسباب التي من شأنها أن تنتقل بأمة بنى إسرائيل من مرحلة اللاوجود إلى مرحلة البعث، ولكن إرادة الله جعلت كل محاولات منع البعث هي عوامل وأسباب لوقوع البعث، وشاء الله تعالى أن تكون الأمة الجاهلية هي من تربي موسى عليه السلام وبأموالها وفي قصرها الملكي، وقد حدثت أحداث ووقائع في هذه الأثناء كانت تهيئه للانتقال لمرحلة البعث.

ابتدأت **مرحلة البعث** بخطاب الله لموسى عليه السلام ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ (طه: ١٤-١٢)، وأخذ موسى عليه السلام ينفخ في الأمة الإسلامية روحها بتبليغه رسالة الله لها وإزالته للتصورات الخاطئة والعقائد الباطلة التي زرعتها الأمة الجاهلية وغرس بدلها معاني التوحيد لله وتعظيمه وعدم الخوف من المخلوقين والتذكير باليوم الأخر، ولقد برز في هذه المرحلة هارون عليه السلام كمعين ومساعد مع موسى عليه السلام للقيام بمتطلبات المرحلة، وذهبا إلى فرعون نفسه وخاطبا قيادة الأمة الجاهلية بدعوة الله لتتدارك المصير الذي يتجهون له، ولكن يبدو أن الأمة الجاهلية وصلت لمرحلة لم يعد هناك أملا للتصحيح، فالاستبداد والغطرسة والفساد والكبر والترف أعمت العقول والقلوب عن تدارك الوضع، وقد انتهت هذه المرحلة بطلب من

فرعون على تحديد يوما معلوما تقول فيها الأمة الجاهلية كلمتها وتقول فيها الأمة الإسلامية كلمتها والجموع تختار انتمائها، وكان هذا اليوم هو يوم الزينة، وبدأت كل أمة تعد العدة لهذا اليوم.

كان يوم الزينة بمثابة توديع لمرحلة البعثة والبدء بمرحلة جديدة هي **مرحلة الظهور والتكون** للأمة الجديدة أمة بنى إسرائيل، وانتهى هذا اليوم بظهور الأمة الجديدة ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ (الاعراف: ١١٨-١٢٢)، وبعد هذا الظهور للأمة الجديدة بدأت الأمة الجاهلية باستخدام كل حيل المكر والظلم والتهديد لإجهاض هذا الظهور، وكانت توصية موسى لقومه في هذه المرحلة ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (الاعراف: ١٢٨)، ونتيجة لشدة البلاء والظلم الذي نزل بالأمة الجديدة أوحى الله إلى موسى عليه السلام أن يتخذ طريقة تمنع الأمة الجاهلية من استئصال وجود الأمة المسلمة ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾ (الدخان: ٢٣)، ولشدة حنق الأمة الجاهلية قررت ملاحقة موسى وقومه فكانت هذه نهايتها القيادة والجيش معا،﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(القصص: ٤٠)، ولك أن تتخيل بعدما أحاطت الأمة الجاهلية بالأمة المسلمة في مرحلة يأس يردد موسى علية السلام عبارة الواثق بربه العارف بطبيعة التحول ونوع المرحلة ﴿ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾ (الشعراء: ٦٢)، وهي نفس العبارة التي رددها محمد عليه السلام في نفس المرحلة عندما كانت الجاهلية تطارد الأمة المسلمة بعد ظهورها﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾(التوبة: ٤٠)، وانتهت الأمة الجاهلية والتي يمثلها فرعون وملائه بدون

صراع مسلح مع الأمة المسلمة، وكانت نجاة الأمة الجديدة من الاستئصال الذي خططت له الأمة الجاهلية في العاشر من محرم، وقد كان اليهود يصومونه في المدينة.

ثم انتقل موسى بالأمة الجديدة إلى سيناء ليستكمل معها مرحلة التكوين ويستكمل إعدادها وتهيئتها لمرحلة الجهاد والمواجهة، وفي هذه الفترة نزلت التوراة على موسى عليه السلام ككتاب هداية للأمة الجديدة، ولقد عانا موسى عليه السلام كثيرا مع بني إسرائيل وحاول معالجتهم واتخذ معهم كل الوسائل ليعرفهم بقدر المهمة والمسؤولية التي يجب أن يتحملوها ويكونوا على قدرها، ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (البقرة: ٦٤-٦٣)، لقد رفع الله فوقهم الجبل ليزيل عنهم الاستهتار بالمسؤولية وطلب منهم أن يأخذوها بقوة، ومع ذلك﴿ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة: ٩٣)، ولما عنفهم موسى على عبادتهم للعجل وخوفهم بعقاب الله طلبوا التوبة وكانت الوسيلة لقبول توبتهم ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (البقرة: ٥٤)، واستمر موسى مع قومة على هذه الحالة كلما أعطاهم الله نعمة قابلوها بالتعنت والاعراض، وقصتهم مع البقرة التي حكاها الله في القران الكريم يكشف لنا معدن نفوسهم التي لم ترتقي لأخذ المهمة بقوة، وكان أخر ما جرى بينهم وبين موسى عليه السلام هو محاولته معهم لينتقل بهم لمرحلة الاستقلال وهي المرحلة الرابعة التي تلي مرحلة الظهور والتكون، ولكنهم رفضوا بأعذار واهية ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ

فَنَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴾ (المائدة: ٢١-٢٢)، ولما يئس موسى من قومه في تكوين أنفسهم وتحملهم مسؤولية النهوض بأمتهم، تركهم مودعا روحه إلى الله تعالي بعد أن ضرب الله عليهم التيه في صحراء سيناء، حتى تأتي أجيال أخرى تنهض بهذه المهمة، ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۗ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (المائدة: ٢٦-٢٥).

ولك أن تدرك الفارق عندما تلاحظ موقف أصحاب محمد ﷺ عندما كانوا في نفس المرحلة وهي مرحلة التحول بعد الظهور إلى مرحلة الاستقلال، لقد فشلت بنو إسرائيل في الاستجابة لنبيهم في هذا التحول أما أصحاب رسول الله فقد استجابوا لمتطلبات المرحلة وقالوا لرسول الله محمد ﷺ: لا نقول لك كما قالت بنوا إسرائيل لموسى عليه السلام اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إننا معكما مقاتلون.

إن موسى عليه السلام يمثل أيقونة ونموذجا لأجيال الأمة في مرحلة البعث ومرحلة الظهور والتكون، فليس من المصادفة أن تتكرر قصة موسى عليه السلام في أكثر من عشرين سورة من سور القران الكريم وكلها نزلت في المرحلة المكية أي مرحلة البعث ومرحلة الظهور والتكون، وهذه السور هي: الأعلى، الأعراف، مريم، طه، الشعراء، النمل، القصص، الاسراء، يونس، غافر، الزخرف، الكهف، فصلت، إبراهيم، الدخان، النازعات، الانعام، هود، المؤمنون، الفرقان، الصافات، هناك ثلاث سور مدنية فقط ورد فيها ذكر قصة موسى هي: البقرة، والنساء، والمائدة.

ومن بعد موسى عليه السلام وبعد انتهاء الجيل الخربان، طلبت بنو إسرائيل من نبي لهم أن يبعث لهم ملكا يقاتلوا معه، فبعث الله لهم طالوت ملكا، وقد برز نبي الله داوود عليه السلام كجندي في جيش طالوت فزعامته لبنى إسرائيل انطلقت من المعركة، فهو الذي نقل أمة بنى إسرائيل لمرحلة جديدة اتسمت بالجهاد وبناء الدولة، وهذه هي ملامح ومواصفات **مرحلة الاستقلال**، ولقد سمى الله نبيه داوود بالخليفة كمصطلح سياسي لزعيم أمة أصبحت مستقلة بكيانها ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ (ص: ٢٦)، «فهو أول نبي يجمع بين الملك والنبوة، والأنبياء قبله لم يكن أحد منهم ملكا، ولم يحكم أحد منهم قومة بالمعنى الخاص للحكم، ولم ينشئ أحد منهم دولة مدنية، ينطبق هذا على نوح وهود وصالح وإبراهيم وإسماعيل عليهم السلام، بل ينطبق حتى على موسى وهارون عليهما السلام، حتى يوسف عليه السلام الذي وصل إلى مركز عزيز مصر فإنه لم يكن خليفة ولا ملكا لمصر، ولهذا ناسب أن ينص القران الكريم على داوود بالخليفة، حيث بنى دولة وأنشأ مملكة وأوجد نظاما» (٤٤).

لقد كان داوود علية السلام رمزا وأيقونة لأجيال الأمة في مرحلة الاستقلال، فقد كان رجل دولة بمعنى الكلمة، وألان الله له الحديد كصفة مهمه لجيل الجهاد وفي هذا إشارة للصناعات الحربية، وكان يأكل من عمل يده وهي صفة تربوية مهمة فبناء الدولة لا يقوم بها من تعود الاعتماد على الغير، وكان يصوم يوما ويفطر يوما كنوع من أنواع الإعداد الروحي يجب أن يتصف به جيل الاستقلال والجهاد.

لم يمت داوود عليه السلام حتى أوصل أمة بنى إسرائيل **لمرحلة التمكين** والقوة، وجاء بعده نبي الله سليمان عليه السلام فأكمل مع بنى إسرائيل هذه المهمة وحافظ عليها وقام بها أحسن قيام، وفي عهده توسعت مملكة بنى إسرائيل جغرافيا حتى وصلت لمملكة سبأ، وتطورت المؤسسات كالجيش والحكم والقضاء، وبلغت الحضارة المعمارية ذروتها.

(٤٤) صلاح الخالدي، القصص القراني، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، صفحة ٤٠٩.

وهكذا تكون أمة بنى إسرائيل التي تمثل الأمة (A) منذ عهد موسى عليه السلام وحتى وفاة سليمان عليه السلام قد مرت بالخمس المراحل من دورة الحياة ابتداء بمرحلة اللاوجود ثم صعودا بمرحلة البعث ثم مرحلة الظهور والتكون كل تلك الثلاث المراحل بصحبة موسى عليه السلام، ثم مرحلة الاستقلال وبناء الدولة بصحبة داوود عليه السلام، وأخيرا مرحلة التمكين بصحبة سليمان عليه السلام، وأمة محمد ﷺ من قبل البعثة وحتى وفاته عليه الصلاة والسلام قد مرت بنفس المراحل الخمس، وقد أفردنا مبحثا كاملا لتحليل هذه الفترة في الفصل الثالث من هذه الدراسة، فالتشابه الواضح في تاريخ الأمتين في دورة الحياة يعتبر أحد البراهين على النموذج التي وضعته هذه الدراسة.

رابعا: برهان البناء على النظريات السابقة

البناء على النظريات السابقة يعتبر منهجا علميا شائعا في الاستخدام، حيث تقوم النظرية الجديدة بمراجعة النظريات السابقة ومن ثم تطويرها أو نقدها أو تصحيحها أو صياغة نظرية بديلة، وهذا يسمى في البحث العلمي بالإطار النظري أو الدراسات السابقة، وأغلب العلوم إنما تطورت بمثل هذا التراكم المعرفي حيث تبدأ فكرة ثم تتطور لنظرية ويأتي من ينقدها أو يضيف عليها أو يطورها.

ونحن قدمنا هذا النموذج لدورة حياة أمة محمد صلى الله علية وسلم بأبعادها التسعة بناء على النظريات السابقة، والملحق رقم (١) في نهاية الكتاب هو تحليل للنظريات والدراسات السابقة بحسب الأبعاد التسعة، ويتضح من خلاله أن:

أ- النظريات التي تتشابه معها دراستنا في بُعد المرحلية:

كل النظريات ترى بأن الدورة تمر بمراحل متعددة من الصعود وحتى السقوط، الاختلاف في عدد تلك المراحل وتسميتها، وسبب هذا التنوع هو أن البعض كان يدمج مراحل الصعود في مرحلة واحدة وبعضهم يجعلها مرحلتين والبعض ثلاث مراحل وبالتالي تختلف التسميات، ومثل هذا حدث في مراحل الصعود وفي مرحلة التمكين.

فمثلا: في منحنى السقوط يرى مالك بن نبي بأن مراحل السقوط مرحلة واحده سماها الغريزة وسوروكين سماها النسق الحسي، في حين أن توينبي يرى بأن السقوط يمر بمرحلتين هي التفكك والزوال وشبينغلر يعتبر السقوط كذلك مرحلتين الكهولة والشيخوخة أما ألكسندر فيرى بأن السقوط يمر بثلاث مراحل هي الرضا عن النفس واللامبالاة والاعتماد، أما فيكو فلم يحدد أي مرحلة للسقوط حيث جعل قمة المنحنى مرحلة البشرية ثم تنهار بعدها الحضارة.

أما منحى الصعود فتوينبي يرى بأنه مرحلة واحدة سماها النشأة ومالك بن نبي سماها الروح وسوروكين سماها النسق الروحي، في حين أن فيكو اعتبر منحنى الصعود مرحلتين اللاهوتية والبطولة، وألكسندر يرى بأن منحنى الصعود يمر بثلاث مراحل العبودية والشجاعة العظيمة والحرية.

وأما قمة المنحنى فهي مرحلة واحده عند مالك بن نبي سماها العقل وألكسندر سماها الوفرة واشبينغلر سماها الشباب وفيكو سماها البشرية وتوينبي سماها النمو وسوروكين سماها النسق المثالي، في حين أن غلوب باشا جعلها أربع مراحل هي الفتوحات والتجارة والثراء والفكر والعلم، أما ابن خلدون فقمة المنحنى عنده مرحلتين هي الاستبداد بالملك والفراغ والدعة.

ولقد كان كويجلي دقيقا في إظهاره المرحلة الأولى الذي نسميها مرحلة اللاوجود، ويكاد يكون هو وألكسندر فقط من تطرق لهذه المرحلة حيث بدأت أغلب النظريات دورة الحياة بالنشأة وتجاهلت مرحلة ما قبل النشأة، وتتشابه المراحل التي وضعها كويجلي كثيرا مع النموذج الذي وضعناه، فمرحلة المزج والاختلاط هي مرحلة الانهيار واللاوجود، ومرحلة الحضانة والتكون هي دمج لمرحلتين مرحلة البعثة ومرحلة الظهور، ومرحلة التوسع هي دمج لمرحلتين مرحلة الاستقلال ومرحلة التمكين، ومرحلة الصراع الداخلي هي مرحلة الانحسار، ومرحلة الانحلال هي مرحلة التفكك، ومرحلة الغزو هي مرحلة الانقسام، ولكنه جعل الإمبراطورية مرحلة مستقلة في حين نعتبرها نتيجة لطول فترة التمكين، ثم إنه أيضا جعل مرحلة الصراع الداخلي سابقة لمرحلة الإمبراطورية والأصل أن الوصول للإمبراطورية لا يكون نتيجة لصراعات وحروب داخلية بل يكون نتيجة للاستقرار في النمو والتمكين.

أما ميلكو فلم يركز في نظريته على مسار يبدأ بالصعود ثم ينتهي بالانهيار، بل وضع نموذجا لدورة حياة تمر بثلاثة أشكال تنظيمية: النظام الإقطاعي ثم نظام

الدولة ثم نظام الإمبراطورية، وأثناء هذه الدورة قد تكون الحضارة في مرحلة التبلور أو الانتقال أو التجمد أو التفكك الكامل.

ب- النظريات التي تتشابه معها دراستنا في بُعد تكرار الدورة وتجددها:

تتفق دراستنا في كون الدورة ليست مغلقه وأنها قابلة للتجديد مع نظرية توينبي ومالك بن نبي وابن خلدون وألكسندر وسوروكين وكويجلي، من يرى عدم تكرارها هو اشبينغلر فقط، وأما فيكو فهو يرى بأن الإمبراطورية لها دورة واحدة لا تتكرر لكن من حيث كونها دورة حياة فهي تكرر ولكن لقوى أخرى وليس لنفس الإمبراطورية، وأما ميلكو فيرى بأن الحضارة في فترة استقرارها إما أن تمر بمرحلة التفكك الكامل وهذا يعني الانهيار بدون رجعه، أو تمر بمرحلة التجمد وبالتالي يكون لديها فرصة للعودة.

ت- النظريات التي تتشابه معها دراستنا في بُعد روح الأمة:

روح الأمة في دورة حياتها عند ابن خلدون العصبية القبلية والدينية، وعند فيكو اللغة والاساطير والرموز والدين البدائي، وعند اشبينغلر القوة الجماعية الإبداعية ورمزها الأول الذي يوجهها للاستمرار، وعند سوروكين الثقافة هي المحرك الأساسي للأمة، وعند كويجلي أداة التوسع هي المحرك الرئيسي للحضارة، وأما توينبي فلم يستخدم تعبير الروح بشكل صريح ولكنه يرى بأن الاستجابة هي من تشكل هوية الحضارة وروحها، أما ميلكو فلم يحدد روحا داخلية للحضارة.

ث- النظريات التي تتشابه معها دراستنا في بُعد عدم تحديد تواريخ وزمن محدد:

تتشابه دراستنا مع نظرية توينبي في اعتبار أن الدورة محاولة فهم للأطوار التي تمر بها وليست للمدة التي تستغرها، كذلك مالك ابن نبي وفيكو وألكسندر وسوروكين وكويجلي كلهم لم يحددوا التواريخ أو يعينوا عمرا زمنيا للدورة، صحيح أن المراحل لها حد زمني لكن لا يمكن القطع به، تماما كالإنسان قد يموت طفلا وقد يموت شابا وقد يموت بعد الشيخوخة وذلك نتيجة لعوامل أخرى غير الزمن، وهكذا

الأمم لها دورة حياة لكن لا يمكن القطع بزمنها، ومدتها تختلف من أمة لأخرى باختلاف العوامل الداخلية والخارجية لتلك الأمم، أما ابن خلدون فيرى بأن الدورة عمرها ثلاثة أجيال في حدود ١٢٠ سنة، وأما اشبينغلر فيرى بأن الدورة تستغرق ١٠٠٠ عام، في حين غلوب باشا يحدد عمر الدورة ب ٢٥٠ عام للإمبراطورية الكبيرة، وعند ميلكو الفترة الزمنية ما بين الانهيار والبداية حوالى ٤٠٠ عام.

ج- النظريات التي تتشابه معها دراستنا في بُعد الارتباط مع الأمة المقابلة:

تكاد تكون النظرية الوحيدة التي تشير لوجود ارتباط بين الأمة (A) مع الأمة (B) في كل مراحل الدورة هي نظرية ألكسندر وذلك من خلال تشابه تسمية المراحل في أغلبها مع هذه الدراسة، فمثلا تسمية المرحلة الأولى بالعبودية عند ألكسندر تشير لوجود أمتين الأولى (A) والثانية (B) وأن الأولى لا وجود لها لكونها كالعبد عند سيده لا قرار يمتلكه وليس له استقلال، وهذا اللفظ يشير بكون الأمة (B) هي صاحبة السيادة بمعنى أنها في مرحلة التمكين وهذا تماما هو ما نقصده في بُعد وجود ارتباط بين الأمتين، أيضا نظرية توينبي التحدي والاستجابة تشير لوجود الارتباط بين الأمتين ولكنه ليس بالمعنى الذي يتشابه مع هذا البعد، أما اشبينغلر فقد نفى مطلقا هذا الارتباط فنظريته تتبنى القطيعة بين الحضارات وتصور الحضارات كدوائر مستقلة عن بعضها البعض.

ح- النظريات التي تتشابه معها دراستنا في بُعد وجود خيارات للأمة تحدد من خلالها مسارها:

يشير توينبي من خلال نظرية التحدي والاستجابة بأن للأمة إمكانية تحديد مسارها من خلال استجابتها للتحديات من عدمه، أيضا دراسة بيتر ورايلي خلال التوصيات التي قدموها يتضح أن النظرية ترى بوجود خيارات للأمة في تحديد مسارها، وكذلك كويجلي يرى بأن الحضارة لها خيارات في تحديد مسارها وتكمن خياراتها في قدرتها على تحديد أداة التوسع (العسكرية، الدينية، الاقتصادية)، وميلكو جعل للأمة خيارا في مرحلتها الأخيرة إما أن تتفكك وتنتهي أو تمر بمرحلة

التجمد ويكون معها خيارا للعودة، أما باقي النظريات والدراسات كابن خلدون ومالك بن نبي وغلوب باشا وفيكو وألكسندر واشبينغلر وسوروكين فالمراحل متتابعة وحتمية والأمة مضطرة للمرور بها وليس لها خيار يمكنها من تحديد مسارها.

خ- النظريات التي تتشابه معها دراستنا في بُعد مجال التطبيق:

النموذج الذي وضعناه لدورة الحياة يخص الأمة بمعناها الذي وضحناه في مصطلحات الدراسة وقد تشابهت في هذا البُعد مع نظرية توينبي وكويجلي وميلكو على الرغم أنهم أطلقوا مصطلح الحضارة في نظرياتهم إلا أن الحضارة عند توينبي تعني المجتمعات الكبيرة وعند كويجلي هي المجتمع المنتج الذي له وسيلة للتوسع وعند ميلكو المجتمعات الكبيرة والمعقدة، أيضا تتشابه مع دراسة غلوب باشا على الرغم أنه أطلق لفظ الإمبراطورية في دراسته إلا أن الإمبراطورية ينطبق على لفظ الأمة التي نقصده، أما مالك بن نبي واشبينغلر وسوروكين فنظرياتهم تنطبق على الجانب الحضاري والثقافي وليس على معنى الأمة، وكذلك ابن خلدون تنطبق نظريته على الدول والأمم بمعناها القومي وليس على الأمة بمعناها الذي نقصده.

د- النظريات التي تتشابه معها دراستنا في بُعد اختصاصها بأمة محمد صلى الله علية وسلم:

تتفق هذه الدراسة مع نظرية مالك بن نبي في كونها خاصة بأمة محمد صلى الله عليه وسلم، أما ابن خلدون فصحيح بأنها تختص ببعض الدول من تاريخ الأمة الإسلامية لكنها لا تنطبق على تاريخ الأمة الطويل، أما باقي النظريات فتم بناؤها لكي يتم تعميمها على كل الأمم والحضارات.

ذ- النظريات التي تتشابه معها دراستنا في بُعد إمكانية الاستخدام في التحليل والتنبؤ:

كل النظريات في الدراسات السابقة قابلة لاستخدامها كأداة في التحليل والتنبؤ إلا أن نظرية فيكو قد تعطي نتائج مضلله وذلك لاعتمادها على الاساطير.

المبحث الخامس

خيارات ومسارات مراحل الدورة

إن مما تختص به أمة محمد ﷺ أن وصولها لمرحلة الانهيار واللاوجود لا يعني زوالها ولا يعنى استئصالها أيضا، وذلك لأن الله ضمن لرسوله محمد ﷺ بأن أمته لا تزول نهائيا سواء بالكوارث الطبيعية أو بغزو عدو من خارجها، ففي الحديث عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ اللهَ زوَى لي الأرضَ فرأَيْتُ مَشارِقَها ومَغارِبَها فإنَّ أُمَّتي سيبلُغُ مُلْكُها ما زوَى لي منها وأُعطِيتُ الكَنزَيْنِ : الأحمرَ والأبيضَ فإنِّي سأَلْتُ ربِّي لِأُمَّتي ألَّا يُهلِكَها بسَنةٍ عامَّةٍ وألَّا يُسلِّطَ عليهم عدوًّا مِن سوى أنفسِهم فيَستبيحَ بَيْضَتَهم فإنَّ ربِّي قال : يا مُحمَّدُ إنِّي إذا قضَيْتُ قضاءً فإنَّه لا يُرَدُّ وإنِّي أُعطيكَ لِأُمَّتِكَ ألَّا أُهلِكَهم بسَنةٍ عامَّةٍ وألَّا أُسلِّطَ عليهم عدوًّا مِن سوى أنفسِهم فيستبيحَ بَيْضَتَهم ولوِ اجتَمَع عليهم مِن أقطارِها أو قال : مَنْ بَيْنَ أقطارِها حتَّى يكونَ بعضُهم يُهلِكُ بعضًا ويَسبي بعضُهم بعضًا»(٤٥)، قال الامام النووي في شرحه للحديث « فيستبيح بيضتهم: أي جماعتهم وأصلهم، والبيضة: العز والملك، وقوله سبحانه وتعالى: وإني قد أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة عامة: أي لا أهلكهم بقحط يعمهم، بل إن وقع قحط فيكون في ناحية يسيرة بالنسبة إلى باقي بلاد الإسلام» (٤٦)، فمرحلة اللاوجود لا تعنى استئصالها أو زوالها بل تعني انعدام للأمة بالمعنى الذي حددناه، أما دينها كرسالة سماوية فهو محفوظ وموجود في كل مراحل هذه الأمة، وأيضا الأمة كأتباع لهذا الدين هم موجودون في كل مراحل هذه الأمة، ففي الحديث «لا تَزالُ طائفةٌ من أُمَّتي يقاتِلونَ على الحقِّ، ظاهرينَ إلى يومِ القيامةِ»(٤٧).

(٤٥) اخرجه مسلم في صحيحه برقم ٢٨٨٩، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الامه بعضهم ببعض.
(٤٦) النووي، شرح صحيح مسلم، الجزء ١٨، دار الخير، ١٩٩٦، صفحة ٣٨٠.
(٤٧) أخرجه مسلم في صحيحة برقم ٣٥٤٤، كتاب الإمارة، باب قوله صلى الله عليه وسلم: لا تزال طائفه من أمتي.

إن هذه الخصوصية لأمة محمد صلى الله عليه وسلم أتاحت لها الخيارات في رسم مساراتها إذا ما وصلت لمرحلة اللاوجود، فحفظ الرسالة السماوية والتي تمثل الروح لهذه الأمة يعطيها الخيار في النهوض والانتقال لمرحلة البعث، ثم الصعود للمراحل الأخرى، فوقوعها في مرحلة اللاوجود ليس أمرا حتميا لا يمكن تجاوزه إذا ما امتلكت الإرادة للنهوض، وعلى افتراض أن الأمة كلها تنكرت لروحها وقعدت عن الوفاء لرسالتها التي ائتمنها الله عليها، وهذا لن يحدث أبدا كما أوضحنا سابقا، ولكن على افتراض حدوثه فسوف يستبدل الله لرسالته أقواما يصبحون هم أمة محمد ﷺ، وأولئك برفضهم للإسلام وانسلاخهم عن منهج الله وكفرهم برسالة محمد ﷺ فسيصبحون من أمة الجاهلية، وبالتالي فدورة أمة محمد ﷺ متجدده وقابلة للبعث على كل الاحتمالات، ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة: ٤٠).

ثم إن أمة محمدا ﷺ في باقي مراحل حياتها تجري عليها سنن الله في صعودها وسقوطها، وهذه السنن لا تتغير ولا تتبدل ولا تحابي أحدا، فلها أن تختار مسار الصعود إذا أخذت بأسبابه وبذلت ما في وسعها ولم تخن روحها ورسالتها، وهي أيضا قابلة للسقوط كغيرها من الأمم إذا ما توفرت عوامل ذلك السقوط، فكونها أمة محمد ﷺ فهذا لا يحميها من أن تجري عليها الأسباب ونتائجها، فالعبرة بالأفعال لا بالمسميات، ومن قصر به عمله لا يمكن أن يحميه مسماه وصفته، فإذا ما تنكرت هذه الأمة لروحها ولرسالتها وكانت أفعالها سببا في ضعفها فلن يحميها من السقوط مجرد كونها أمة مسلمة، ومن ظن أن مجرد التسمية يغني عن التضحية بالأموال والأنفس والغالي والرخيص وبذل الأسباب فقد أخطأ الطريق،

ولو كان الأمر كذلك لكان الأحق بهذا هو محمد صلى الله عليه وسلم، ولكنه بأبي هو وأمي قضى حياته كلها متوكلا على ربه معتمدا عليه مجاهدا مضحيا عاملا بالأسباب.

فإذا فرضنا أن الأمة في مرحلة التمكين والقوة فإن بين يديها مسارات متعددة وليس مسارا واحدا، فقد تنحدر مرحلة واحدة ثم تعود، وقد تنحدر مرحلتين ثم تعود، وقد تنحدر للمرحلة الثامنة ثم تعود، وقد تنحدر للمرحلة الثامنة ثم تبعث من جديد، وقد تبقى محافظة على مكانتها في مرحلة التمكين، وكل مسار له عوامله الخاصة به التي تقوده لتلك النتيجة، وهي عوامل بعضها من داخل الأمة الإسلامية وبعضها من خارجها، وتلك التحولات تكون في فترات طويلة يصعب ملاحظتها سريعا، فبعضها قد يأخذ أكثر من عمر الفرد الواحد.

وإذا فرضنا أن الأمة في مرحلة التفكك المرحلة السابعة، فهي إما أن تستسلم وهذا يعني انهيارها والوصول لمرحلة اللاوجود، أو تختار الالتقاء في مواجهه مع من يريد الانقسام، وفي اختيار هذا المسار هي بين احتمالين: إما أن تخرج من هذا الالتقاء منتصرة وهذا يعني القضاء على الانقسام والعودة لمرحلة التمكين، أو تخرج منهزمة من هذا اللقاء وهذا يعني نجاح الانقسام، ونجاح الانقسام يعني الدخول في مرحلة صراع بين الأمتين، وبالتالي يكون أمامها خيارين: إما أن تنتهي مرحلة الصراع بالنصر وهذا يعني التخلص من الانقسام والعودة للتمكين، أو تنتهي بالهزيمة وهذا يعني الانهيار والوصول لمرحلة اللاوجود، وهكذا في كل مراحل الدورة توجد خيارات متاحة، الأمة لها خيارات في تحدد مسار الانتقال والتحول، وتختلف تلك الخيارات باختلاف العوامل زمانا ومكانا من داخل الأمة ومن خارجها.

الفصل الثالث: استخدام النموذج
في وصف الماضي وتحليل الحاضر واستشراف المستقبل
أين كنا؟ وأين نحن؟ وأين سنكون؟

تمهيد:

الفكرة التي بنيناها لتوضيح دورة حياة أمة محمد ﷺ ليست نبوءة تتحقق في المستقبل بمجرد مجيء تاريخ محدد، وليست أيضا رواية تاريخية لوصف الماضي، ولا هي أيضا قدرا محتوما لحاضرنا لا نستطيع الانفكاك عنه، إنما هي نظرية اعتمدت على وضع المراحل كأطوار متسلسلة، كل مرحلة لها خصائصها ومتطلباتها، قد تطول تلك الفترة وقد تقصر، والزمن ليس هو من يحدد مدة تلك المرحلة، إنما يحدد مدتها عوامل متداخله من خارج الأمة ومن داخلها ومن أهمها استيفاء متطلبات تلك المراحل وتحقق مواصفاتها.

فقولنا مثلا بأن الأمة الإسلامية مرت في الماضي بمرحلة اللاوجود وأن الأمة الجاهلية في حينها كانت في مرحلة التمكين، فهذه ليست رواية تاريخية وإنما هو ادراج لذلك الماضي في الطور الذي ينطبق عليه وتسميته بالمرحلة التي تناسبه، وهذا يعتمد على معرفتنا بخصائص وملامح مراحل دورة حياة الأمة أولا، ثم معرفتنا بالروايات التاريخية التي تحدثت عن ذلك الماضي، فيتم تسمية ذلك الماضي بالمرحلة التي تنطبق مواصفاتها مع وقائع ذلك الماضي، ولهذا قد تختلف وجهات النظر حول الأحداث الماضية على أي مرحلة يمكن أن تتطبق تلك الأحداث، ففي حين نرى بأن الأمة في تاريخ معين كانت في مرحلة التمكين يرى غيرنا بأنها كانت في مرحلة الانحدار، وأصدقنا استخداما للنموذج وتنزيله على أحداث الماضي هو من يمتلك الرواية الصحيحة لذلك الماضي، فالدقة في استخدام النموذج لوصف الماضي يعتمد على صحة الرواية لذلك الماضي.

والنموذج أيضا ليست وصفا للحاضر الذي تعيشه الأمة ولكنه تأسيس لدورة متكاملة بمراحل لها ملامح وخصائص واضحة، وعلى هذا فليس بالغريب مثلا أن نرى بأننا نعيش مرحلة الظهور والتكوّن لكن غيرنا يرى بأننا تجاوزناها أو أننا لم نصل بعد، وسيكون أصدقنا وصفا للحاضر هو من يمتلك التشخيص الدقيق للواقع، فالدقة في استخدام النموذج

لوصف الحاضر يعتمد على الدقة في تشخيص ذلك الحاضر، وهكذا تكون دقة النموذج بناء على دقة من يستخدمه وامتلاكه للأدوات الصحيحة.

وعند قولنا في قراءتنا للمستقبل بأن الأمة إذا وصلت لمرحلة الاستقلال فسوف تدخل المسجد الأقصى، وإذا وصلت لمرحلة التمكين فستكون أمة بني إسرائيل في مرحلة الانهيار، فهذه ليست نبوءة مستقبلية تتحقق بمجرد مجيء تاريخها، ولكنها تنبؤ بمستقبل يحدث عند توفر مقدمات حدوثه، والأمة بأبنائها هي من تصنع تلك المقدمات وهي من تحدد المرحلة التي ستكون عليها في المستقبل، ولهذا من خلال النموذج يتم التنبؤ بأحداث المستقبل بناء على مقدمات الحاضر وقياسا بأحداث الماضي، وذلك التنبؤ لا يكون بتحديد زمنا معينا أو تاريخا محددا، لأن الأمر متروك للأمة نفسها وهمة شبابها، فالأمة بأبنائها هي من تضع نفسها في هذه المرحلة أو تلك، وهي أيضا من تحدد أن تكون في مرحلة التمكين أو في مرحلة اللاوجود والانهيار، ولأن النموذج ليس نبوءة حتمية فقد تختلف وجهات النظر في تحديد المستقبل ففي حين نرى نحن بأن المرحلة القادمة للأمة هي أن تستكمل تكوين نفسها لتعبر لمرحلة الاستقلال يرى غيرنا بأنها ليست كذلك، وأصدقنا تحديدا للمستقبل هو أكثرنا دقة في تحليل الحاضر ومعرفة بالماضي، فالدقة في استخدام النموذج للتنبؤ بالمستقبل يعتمد على دقة التحليل والربط.

وجزئية أخرى مهمة بين يدي هذا الفصل يجب أن نُدركها وهي أن من يريد أن يسترجع صورة واضحة للأطوار التي مر بها كإنسان فعلية أن يأخذ نظرة من بعيد لما مضى من عمره تكون بالسنوات لا بالأشهر والأيام، لأن الانغماس في تفاصيل أحداث اليوم والساعة أو أحداث الشهر والاسبوع لا تعطي الفرد صورة واضحة عن الأطوار التي مر بها في حياته، ولكن إذا ما أخذ العشر السنوات الأولى من حياته اتضح له بأنه كان في طور الطفولة، ثم إذا ما أخذ فوقها عشرين سنة أدرك أنها كانت مرحلة الشباب، وإذا ما نظر لسنوات ما بعد الأربعين سيدرك أنها بداية الضعف والشيخوخة، فدورة حياة الفرد

لا يمكن إدراكها من خلال تفاصيل الأحداث عبر الزمن القصير بل عبر ضغط كل تلك السنوات والنظر إليها عن بُعد حتى تظهر المرحلة واضحة جلية، وهكذا تماما لمن أراد أن يتصور دورة حياة الأمم بوضوح فعلية أن يأخذ نظرة عامة للتاريخ فالمرحلة الواحدة للأمة قد تأخذ سنوات تساوي عمر الفرد أو أكثر، فالله تعالى يقول لنبيه عليه الصلاة والسلام سواء رأيت بعينيك ما وعدناك من انهيار الأمة الجاهلية أو توفيناك قبل أن تراه فالأمر لله وهو الرقيب عليهم، وهذا يعني بأن أطوار الأمم قد تأخذ وقتا أكثر من عمر الفرد الواحد، ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾ (يونس: ٤٦).

المبحث الأول

أين كنا؟

أولا: العصر الجاهلي وعصر الرسالة

كانت هذه الأمة قبل بعثة نبيها صلى الله علية وسلم غير موجودة حيث كان الناس أمة واحدة تحكمهم عادات وتقاليد ومبادئ وقيم الجاهلية، وعندما بعث الله نبيه محمد صلى الله علية وسلم انتقل بأمته عبر مراحل متدرجة وخطوات متسلسلة وقد كان وحي السماء وثيق الصلة بتلك المراحل وظروفها واحتياجاتها ومتطلباتها، حتى أتم الله النعمة وأكمل الدين بالفتح المبين، وقد مرت هذه الأمة في دورتها الأولى بوجود نبيها عليه الصلاة والسلام بالمراحل التالية:

مرحلة اللاوجود: ويسميها مؤرخو السيرة النبوية بالعصر الجاهلي وهي الفترة التي سبقت بعثة النبي صلى الله علية وسلم حيث كانت أمة العرب تمثل الأمة الجاهلية (B).

مرحلة البعثة: بدأت هذه المرحلة بقول الله تعالى ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ (العلق: ١)، وهي الفترة التي يسميها مؤرخو السيرة النبوية بالدعوة السرية في مكة «حيث أقام صلى

لله علية وسلم ثلاث سنوات يدعوا إلى الله مستخفيا حتى نزل عليه ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ (الحجر: ٩٤)»[٤٨]، «انضم في هذه المرحلة للإسلام ما يقرب من ستين ما بين رجل وامرأة وكانت الدعوة تتم عن طريق الاصطفاء والتخيير وتمت تربيتهم في دار الأرقم وفي شعاب مكة حيث يخرجون لشعاب مكة والوحي يتنزل ولم يكن هناك مواجهه بينهم وبين الأمة الجاهلية»[٤٩].

مرحلة الظهور والتكون: وبدأت هذه المرحلة بالأمر بالجهر بالدعوة ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ (الحجر: ٩٤)، وانتهت بالهجرة إلى المدينة المنورة، ومدتها عشر سنوات، «أعلن صلى الله علية وسلم في هذه المرحلة دعوته، وجهر بها واشتد علية الأذى وعلى المسلمين حتى أذن لهم عليه الصلاة والسلام بالهجرتين»[٥٠]، وظهرت الأمة الجديدة بملاح واضحة داخل الأمة الجاهلية «حيث انضمت روافد من بطون قريش بلغت اثنا عشر بطنا رفعت رصيد المنضمين للإسلام إلى قرابة الثلاثمائة بين رجل وامرأة»[٥١]، وقد استفز هذا الظهور الأمة الجاهلية فشنت حملة أذى ومضايقات واستعملت كل حيل المكر والكيد على هذه الأمة الناشئة، ومع ذلك لم يأذن علية الصلاة والسلام بالمواجهة المسلحة بل كان يحث أصحابه على الصبر والإعداد ويوعدهم الجنة، ولقد تحمل هو وأصحابه من الظلم والاضطهاد ما لا تتحمله الجبال حتى أذن للذين لا يطيقون هذا الأذى بأن يُظهروا للجاهلية بأنهم قد غيروا دينهم، ولكي يخفف من وطأة هذا الوضع أذن عليه الصلاة والسلام بالهجرة إلى الحبشة، وقد جرت بين الأمة الجديدة الناشئة بقيادة نبيها وبين الأمة الجاهلية خلال هذه المرحلة مفاوضات ومساومات ووسطاء وحصار ومحاولة اغتيال ومكائد أظهرت فيها الأمة الجاهلية إفلاسها من القيم والمبادئ حتى من تلك التي كانت مصدر فخر لها، ونتيجة لانسداد الأفق خرج الرسول صلى الله علية وسلم من مكة باحثا عن موطن انطلاق وأفق جديد فذهب للطائف طالبا النصرة ولكن تلك المحاولة فشلت

(٤٨) ابن القيم الجوزية، زاد المعاد، المجلد الأول، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، صفحة ٨٤.
(٤٩) منير الغضبان، فقه السيرة النبوية، الطبعة الثانية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية،١٩٩٢م صفحة ١٤٤.
(٥٠) ابن القيم الجوزية، زاد المعاد، المجلد الأول، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، صفحة ٨٤.
(٥١) منير الغضبان، فقه السيرة النبوية، الطبعة الثانية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية،١٩٩٢م صفحة ١٤٥.

«وظل يعرض نفسه ودعوته على القبائل في كل موسم من مواسم الحج أن يأووه حتى يبلغ رسالة ربه ولهم الجنة، فلم تستجب له قبيلة، وادخر الله هذا الفضل للأنصار فلما أرد الله تعالى إظهار دينة والانتقام من أعدائه ساقه إلى الأنصار فعرض عليهم رسالة الله واستجابوا له»[٥٢]، وبنجاح هذه الخطوة يكون علية الصلاة والسلام قد نجح بالانتقال بأمته للمرحلة الرابعة، بعدما هاجر مع أصحابه للمدينة المنورة، وبدأت مرحلة جديدة تحولت معها الأمة من جماعة إلى دولة.

مرحلة اللقاء والاستقلال: النجاح الذي تحقق للأمة المسلمة بحصولها موطن انطلاق وعشيرة تحميها لم يرق ذلك للأمة الجاهلية فقد عزمت على القضاء على الكيان الجديد مهما كلفها الأمر، «وقد كان الصحابة من المهاجرين والأنصار في أيامهم الأولى في المدينة ينامون بالسلاح ويبيتون فيه لأنهم وعدوا رسول الله أن يحموه، وصدقوا ما وعدوا به»[٥٣]، وبدأت هذه المرحلة بيوم الالتقاء الذي لا مفر منه، الالتقاء بين الأمتين في معركة بدر، ﴿ يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ﴾ (الانفال: ٤١)، لقد كان هذا اليوم فرقانا بين مرحلتين في تاريخ الأمة المسلمة، بين مرحلة الظهور ومرحلة الاستقلال، لقد كان انتصار الأمة الإسلامية في هذا اليوم عبارة عن نجاح لذلك الخروج النهائي من دائرة الأمة الجاهلية الذي حدث عند الهجرة إلى المدينة، هذا النصر كان تتويجا لذلك الخروج واعترافا رسميا به حيث ظهرت الأمة الجديدة بقيادة نبيها عليه الصلاة والسلام كأمة مستقلة بنظامها ومنهجها الرباني خارج سيطرة الأمة الجاهلية.

وبقيت هذه المرحلة مرحلة صراع وتنافس بين الأمتين، بين الأمة الإسلامية الجديدة والأمة الجاهلية وقد التقت معها في محطات كثيرة كان أبرزها بدر وأحد والأحزاب، واستمرت هذه المرحلة ما يقارب الست السنوات، حتى صلح الحديبية، وفي هذه المرحلة التقت الأمة الإسلامية مع بني إسرائيل في بني قينقاع وبني قريظة وبني النظير كما سنوضحه بالتفصيل في مبحث قادم.

(٥٢) ابن القيم الجوزية، زاد المعاد، المجلد الأول، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، صفحة ٩٧-٩٨.
(٥٣) منير الغضبان، فقه السيرة النبوية، الطبعة الثانية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية،١٩٩٢م صفحة٢٣١.

مرحلة التمكين والفتح: بدأت هذه المرحلة من بعد صلح الحديبية وانتهت بوفاة النبي صلى الله علية وسلم حيث استمرت تقريبا أربع سنوات، بدأ علية الصلاة والسلام يتخاطب مع باقي الأمم كأمه وريثة للأمة الجاهلية وبديلة عنها، فأرسل الرسل وكتب إلى الملوك ودعاهم للإسلام، وفي هذه المرحلة تم إنهاء الوجود اليهودي من جزيرة العرب في خيبر، وانضمت قيادات من الأمة الجاهلية إلى أمة الإسلام كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وأبي سفيان، وأصبحت الأمة الجاهلية في مرحلة انهيار حقيقي ومن بقي منها لا يعدوا كونهم أفرادا أو مجموعات لا كيان يأويهم، وفي هذه المرحلة حدث أول التقاء مع أمة الروم كأمة منافسة للأمة الجديدة في معركة مؤته، ويعتبر فتح مكة هو التدشين الحقيقي لهذه المرحلة حيث وصلت الأمة الجاهلية فيه لمرحلة اللاوجود، وقد كان فتحا مبينا دخل الناس في دين الله أفواجا، ولم تمر أشهر حتى جاءت الوفود العربية معلنة إسلامها وانضمامها للأمة الجديدة، وأعلن الرسول علية الصلاة والسلام المبادئ والحقوق العالمية في حجته الأخيرة، «والمائة الألف التي استمعت له وهو يصدح بآيات الحق كأنما انسكب في روعها قبس من هذا الإنسان الهادي، فإذا بها تتحول شهب تنير ليل الإنسانية، لقد استطاع محمد عليه الصلاة والسلام خلال ربع قرن أن يغير الجزيرة العربية تغيرا حاسما، فإذا بتلك الأرض تفيض بالحضارة والعدالة والرحمة، وإذا بأبناء البوادي يدرسون أبناء روما وأثينا والمدائن حقوق الإنسان ومعالم الحضارة وضوابط المعرفة»(٥٤)، وغادر الدنيا بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم وقد نقل أمته من اللاوجود حتى أوصلها لمرحلة التمكين والفتح بعد نضال مستمر وعطاء بلا حدود ، غادر الدنيا بعد إتمام النعمة وإكمال الدين وترك هذه المرحلة كعهده على أمته هي مؤتمنه عليها.

ثانيا: عصر الخلفاء الراشدين

«بعد وفاة النبي صلى الله علية وسلم ارتدت بعض قبائل العرب وادعى بعضهم النبوة ومنعوا إعطاء الزكاة للخليفة أبوبكر الصديق، وقد كان للعامل الخارجي دور في تحريك

(٥٤) محمد الغزالي، كتاب علل وأدوية دراسات في أمراض أمتنا ووسائل الاستشفاء، دار الدعوة، الإسكندرية، ٢٠٠٢م، الطبعة الرابعة، صفحة ١٢٢.

هذه القبائل وتشجيعها على التمرد وذلك لأن إرسال الرسول صلى الله علية وسلم كتبه للملوك يدعوهم للإسلام دفع بتلك الأمم للكيد ضد الامة الإسلامية فسعوا لتحريض هذه القبائل»[٥٥].

شكلت هذه الردة انحدارا حيث تراجعت فيه الأمة الإسلامية من مرحلة التمكين إلى مرحلة الانحسار لكنها لم تستمر إلا بعض الأشهر فقط، فقد أدرك أبوبكر الصديق الوضع واستطاع تقييم المرحلة بدقة وأدرك خطورتها، فواجه الردة بحزم وشجاعة رافضا أي تفريط في الإرث الذي تركهم رسول الله وهم عليه، وأثبت رضي الله عنه أنه القوي الأمين ونجح عسكريا في القضاء على الردة في عامها الأول من فترة حكمه.

ثم بقيت الأمة خلال فترة الخلفاء الراشدين في مرحلة التمكين لأكثر من ٢٤ سنة، ورغم أنها فترة قصيرة إلا أنهم تحولوا بالأمة الإسلامية من كونها أمة إلى كونها إمبراطورية وذلك نتيجة للتوسع الجغرافي الذي شمل مصر والشام ودمشق والعراق، واستمرت الأمة في مرحلة التمكين والفتوحات حتى نهاية خلافة عثمان رضي الله عنه، حيث سعت الامبراطوريات المنهارة كالفرس والروم على تحشيد الموتورين فقادوا مؤامرة انتهت بمقتل عثمان بن عفان الخليفة الثالث لهذه الأمة، وبهذا الحدث المأساوي انحدرت الأمة مجددا وتراجعت من مرحلة التمكين إلى مرحلة الانحسار، حيث كان أبرز مظاهر هذا الانحسار الاضطرابات والحروب الداخلية وعدم الاستقرار، استمرت الأمة في مرحلة الانحسار لمدة خمس سنوات فقط وقد انتهت هذه المرحلة بتنازل الحسن بن علي رضي الله عنه بالخلافة لمعاوية بن أبي سفيان، وأعتقد أن هذه المرحلة نالت حظها من التضخيم، فعند مقارنة بقاء الأمة فيها ببقائها في مرحلة التمكين فإنها تظهر كسحابة طيف غشتيهم ثم انجلت، فالتراجع الطفيف ظهر في فترات الانتقال، فعند الانتقال من عصر الرسالة إلى عصر الخلفاء ظهر هذا التراجع ثم سرعان ما أخذت الأمة مكانها الذي ارتضاه الله لها، وعند الانتقال من عصر الخلفاء الراشدين إلى العصر الأموي ظهر التراجع ثم سرعان ما رجعت الأمة لمكانتها التي

(٥٥) محمد سهيل طقوش، التاريخ الإسلامي الوجيز، دار النفائس، بيروت لبنان، الطبعة الخامسة، ٢٠١١م، صفحة ٧٠-٧٢.

ارتضاها الله لها، وعند الانتقال من العصر الأموي إلى العصر العباسي ظهر أيضا هذا التراجع ولكنها سرعان ما رجعت لمرحلة التمكين.

وخلاصة عصر الخلفاء الراشدين: الأمة لا تزال في دورتها الأولى، تراجعت لمدة أشهر إلى مرحلة الانحسار بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ثم عادة سريعا لمرحلة التمكين واستمرت فيها تقريبا ربع قرن ثم تراجعت إلى مرحلة الانحسار لمدة خمس سنوات تقريبا.

ثالثا: العصر الأموي

بتولي معاوية بن أبي سفيان الحكم استقرت الأوضاع ورجعت الأمة لمرحلة التمكين، وفي هذا العصر حافظت الأمة على مكتسباتها التي ورثتها من جيل الراشدين إضافة إلى توسعها في مناطق وميادين أخرى، واستمرت في مرحلة التمكين لأكثر من ثمانين سنة، حتى نهاية العصر الأموي وتحديدا عند تولي الوليد بن يزيد الملك تراجعت لمرحلة الانحسار، حيث شهدت اضطرابات وخلافات داخلية «وقد كان يتصارع على الملك أربع جماعات: انصار بنو أمية، وأنصار العلويين وهؤلاء حملوا لواء المعارضة لبنى أمية طيلة عصرهم، والعباسيين الذين دخلوا ميدان السياسة نهاية الدولة الأموية لينافسوا الأمويين وكذلك العلويين»(٥٦)، واستمرت الأمة في مرحلة الانحسار تقريبا عشر سنوات، استمرت حتى بعد تولى أبي العباس للخلافة كأول خليفة من العصر العباسي.

وخلاصة العصر الأموي: الأمة لا تزال في دورتها الأولى، عادت لمرحلة التمكين بعد التراجع الذي حدث نهاية عهد الخلفاء الراشدين واستمرت في مرحلة التمكين لأكثر من ثمانين سنة ثم تراجعت للانحسار لمدة عشر سنوات تقريبا.

رابعا: العصر العباسي

استطاع أبو جعفر المنصور القضاء على الاضطرابات والمشاكل التي خلفتها ضرورة التحول من العصر الأموي إلى العصر العباسي، هذا الاستقرار أعاد الأمة لمرحلة التمكين

(٥٦) محمد سهيل طقوش، التاريخ الإسلامي الوجيز، دار النفائس، بيروت لبنان، الطبعة الخامسة، ٢٠١١م، صفحة ١٢٥.

والفتوحات من جديد، واستمرت فيها أكثر من قرن، وشكلت هذه المرحلة العصر الذهبي للحضارة الإسلامية بفضل ما قدمته الأمة في هذه المرحلة للبشرية في شتى المجالات، وقد توسعت الأمة ودخلت أقاليم ومناطق لم تكن وصلتها في العصر الأموي، واستمرت في مرحلة التمكين حتى بداية العصر العباسي الثاني، حيث تراجعت من التمكين إلى مرحلة الانحسار، ولكن للأسف لم تنهض مجددا للتمكين كما كانت تفعل سابقا، وفي مرحلة الانحسار سقطت هيبة الخلافة حتى تجرأ الأمراء في الأطراف على الانفصال، ثم انتقلت منحدره إلى مرحلة التفكك في العصر العباسي الثاني، حيث صارت الإمبراطورية الواحدة دويلات مجزأه ومفككة كل دولة لها سلطان وأمير، واستغل الصليبيون تدهور أوضاع الأمة وانقساماتها فبدأوا حملاتهم الصليبية، وعند بداية الغزو الصليبي تكون الأمة انتقلت لمرحلة (الانقسام والصراع) وهي المرحلة الأخيرة من دورة الحياة الأولى، حيث التقت الأمة الجاهلية مع الأمة الإسلامية في فترات متعددة كانت تسقط تارة وتنتصر تارة أخرى، واستمرت مرحلة الصراع حتى سقوط بغداد على يد المغول، وعندها تكون الأمة قد عادت لمرحلة اللاوجود مرة أخرى كبداية لدورة حياة جديدة، وبسقوط بغداد وانتهاء العصر العباسي تكون الأمة قد أكملت دورة حياه واحدة منذ البعثة النبوية.

وخلاصة العصر العباسي: الأمة عادت لمرحلة التمكين بعد التراجع الذي حدث في نهاية الدولة الأموية واستمرت في مرحلة التمكين لأكثر من قرن كامل، ثم انحدرت بلا رجعه من التمكين إلى الانحسار ثم الى التفكك ثم الى الانقسام وأخيرا الانهيار والوصول لمرحلة اللاوجود، وقد أخذ منحنى السقوط (الانحسار، التفكك، الانقسام) تقريبا ٤٢٥ سنة.

تعقيب على الدورة الأولى من حياة أمة محمد ﷺ

التعقيب الأول: كان عمر هذه الدورة تقريبا أكثر من (٦٦٩ سنة)، استمرت من قبل البعثة النبوية وحتى سقوط بغداد على أيدي المغول، وقد تنقلت خلالها الأمة بين المراحل الثمانية، حيث بدأت من مرحلة اللاوجود قبل البعثة ثم صعدت من البعثة وحتى وصلت مرحلة التمكين في فترة وجيزة تقدر بـ ١٩ سنه، ثم حافظت على بقائها في مرحلة التمكين

لمدة ٢٢٥سنه عدا ما اعتراها من تراجع للانحسار في فترات الانتقال لكن سرعان ما كانت تعود للتمكين مجدد، ثم انحدرت تدريجيا حتى عادت لمرحلة اللاوجود وقد أخذ منحنى السقوط تقريبا ٤٢٥ سنه، وهذا من عجائب أمة محمد صلى الله علية وسلم، فمنحنى صعودها أخذ فترة قصيره في حين أن منحنى سقوطها أخذ فترة طويلة، بعكس باقي الأمم الأخرى حيث «يلاحظ أن منحنى صعودها الحضاري يأخذ فترة طويلة، وانحدارها يكون سريعا جدا، فعلى سبيل المثال: صعود دولة الروم الشرقية أخذ مئات السنين حتى وصلت إلى القمة، وكذلك الفرس صعودها أخذ قرابة ألفي سنة، على عكس السقوط فالروم كان أول هجوم للمسلمين عليها سنة ١٢ هـ، ثم انتهى وجودها في الشام بعد معركة اليرموك سنة ١٥هـ في ثلاث سنوات فقط، أما الفرس فكان أول هجوم عليها سنة ١٢هـ ثم هزمت في القادسية سنة ١٤هـ، ويكاد يكون هذا شيئا مطردا في كل الأمم»[٥٧].

التعقيب الثاني: إن مرحلة التمكين هي المرحلة الخامسة وتمثل قمة المنحنى فهي المكانة التي ارتضاها الله لهذه الأمة وتركها نبيها صلى الله علية وسلم عليها، والأمة لا تخلوا من أن تكون عبر تاريخها الطويل في واحدة من المراحل الثمانية:

١. فإن كانت في المرحلة الخامسة مرحلة التمكين فمهمتها أن ترعى هذه النعمة وتحافظ عليها.
٢. وإن كانت في واحدة من المراحل الأربع التي قبل التمكين فمهمتها أن تقوم بواجبات ومتطلبات كل مرحلة وأن تناضل للوصول لمرحلة التمكين.
٣. وإن كانت في واحدة من المراحل الثلاثة (السادسة، السابعة، الثامنة) التي بعد مرحلة التمكين فمهمتها أن تقوم بواجبات ومتطلبات كل مرحلة وأن تبذل أقصى جهدها للعودة للتمكين.

(٥٧) طارق السويدان، اسباب انحدار الحضارة الإسلامية، ١١مارس ٢٠٢٢م، موقع طارق السويدان، رابط:https://suwaidan.com //.

وبهذا يكون الانتقال من التمكين كمرحلة خامسة إلى المرحلة السادسة ثم الى المرحلة السابعة ثم المرحلة الثامنة ثم العودة لمرحلة اللاوجود تفريطا في المهمة، لأن هذا ليس انتقالا بل هو انحدار وتراجع، والشكل رقم (١٤) يوضح سلم مراحل الصعود والانحدار في هذه الدورة.

شكل رقم (١٤) سلم مراحل الصعود والانحدار في الدورة الأولى لحياة أمة محمد ﷺ

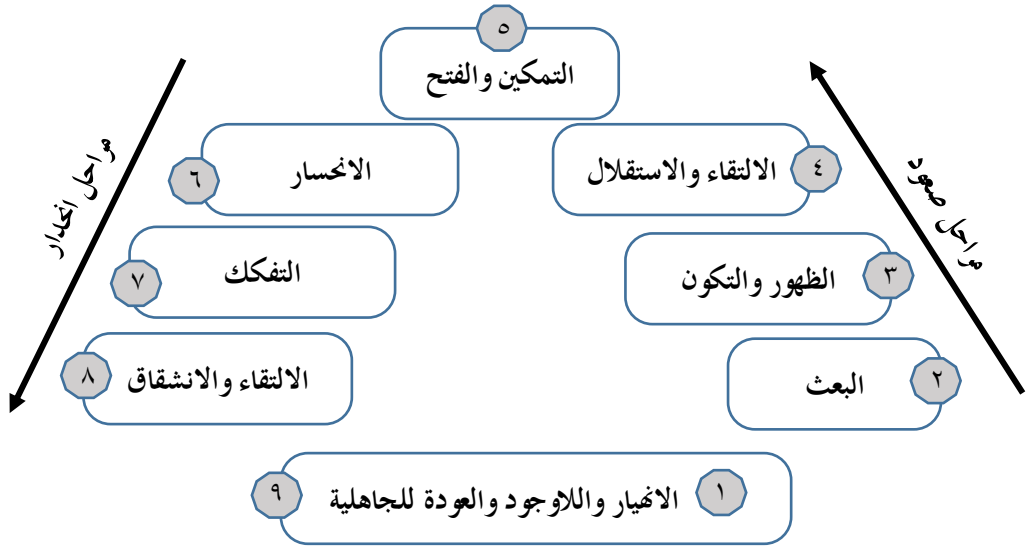

التعقيب الثالث: الالتقاء الأول مع بنى إسرائيل كان في هذه الدورة، حيث مارس بنو إسرائيل إفسادهم الأول في الثلاث المراحل الأولى من هذه الدورة، في مرحلة الجاهلية ومرحلة البعثة ومرحلة الظهور والتكون، وجاس المسلمون خلال ديارهم في مرحلة الاستقلال فغزوة بني قينقاع كانت بعد بدر وغزوة بنى النظير كانت بعد أحد وغزوة بني قريظة كانت بعد الأحزاب، أما في المرحلة الخامسة مرحلة التمكين فقد تم إنهاء تواجد اليهود نهائيا من جزيرة العرب وذلك في خيبر.

خامسا: العصر العثماني

انتهت الدورة الأولى من حياة الأمة الإسلامية بسقوط بغداد ودخول التتار بلاد المسلمين، وقد وصف ابن الاثير هذه المرحلة في كتابه الكامل في التاريخ بقوله: «لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها، كارها لذكرها، فأنا أقدم إليه رجلا وأؤخر أخرى، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين؟ ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك؟ فيا ليت أمي لم تلدني، وياليتني مت قبل حدوثها وكنت نسيا منسيا»(٥٨)، لقد كانت نعي للإسلام والمسلمين فعلا لأن الأمة رجعت لمرحلة اللاوجود في دورة حياه جديدة.

لقد كان العصر العثماني هو الدورة الثانية من حياة أمة الإسلام، ولكنها كانت دورة مختلفة تماما عن الدورة الأولى، فإذا كانت الدورة الأولى دورة بعث فهذه الدورة هي دورة استبدال، والفرق بينهما هو أن الأمة وصلت للتمكين في دورتها الأولى عن طريق الانتقال تصاعديا من المرحلة الأولى حتى الوصول لمرحلة التمكين فالأمة بعثت بعثا من داخل منظومة أمة أخرى، أما في الدورة الثانية في العصر العثماني فقد وصلت الأمة للتمكين عن طريق الانتقال تنازليا من المرحلة الثامنة حتى الوصول لمرحلة التمكين حيث استبدل الله لرسالته ودينة قوما عملوا على تفكيك مراحل السقوط مرحلة تلو أخرى حتى أعادوا الأمة لمرحلة التمكين ، وقد يكون السبب في هذا هو أن الأمة (B) لم تكن مؤهلة لتشكيل منظومة عالمية تندمج فيها الأمة المنهارة (A) وتصير جزءا منها.

فبتأسيس الدولة العثمانية تكون الأمة قد غادرت مرحلة اللاوجود إلى المرحلة الثامنة (الانقسام)، ولأن الدورة هنا عكسية فالمقصود بالانقسام هنا هو معالجة أثاره وذلك بظهور قوم يحبهم الله ويحبونهم يتبنون رسالة الإسلام يحملون على عاتقهم تفكيك كل مراحل السقوط مرحلة تلو أخرى حتى يعودوا بالأمة لمرحلة التمكين، وقد شهدت هذه المرحلة عدة محطات التقاء بين الأمتين، وظلت متأرجحة ما بين النصر في محطة والهزيمة

(٥٨) أبو الحسن الندوي، إلى الإسلام من جديد، دار القلم للنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الرابعة، ١٩٧٩م، صفحة ٦٩.

في محطة أخرى، حتى كان فتح القسطنطينية بقيادة محمد الفاتح، حيث شكلت هذه المحطة نقطة تحول جوهرية انتقلت فيها الأمة إلى المرحلة السابعة (التفكك)، ولأن الدورة عكسية فالتفكك يعني معالجة أثاره، فقد استطاع السلطان سليم الأول القضاء على الجيوب والكيانات التي كانت تمثل تفكيك لجسد الأمة الواحدة، حيث نفذ حملة عسكرية قضى فيها على النفوذ الصفوي الشيعي، وحملة أخرى قضى فيها على دولة المماليك، وبهاتين الحملتين عاد شرق الاناضول ومصر والشام والحجاز لدائرة الأمة الواحدة، وحصل السلطان سليم الأول على لقب خليفة المسلمين كمظهر من مظاهر الأمة الإسلامية الواحدة والتراجع عن التفكك الذي كان حاصلا، وبهذا تكون الأمة انتقلت للمرحلة السادسة (الانحسار) وهي معالجة أثاره، وقد قام السلطان سليمان القانوني بأهم خطوة تمنع استمرار الأمة في مرحلة الانحسار حيث سن التشريعات لإدارة شئون الدولة حتى سمي بسليمان القانوني، وفي عهد سليمان القانوني عادت الأمة مجددا لمرحلة التمكين حيث بلغت الدولة العثمانية أعلى درجات القوة والحضارة وتحولت إلى «امبراطورية قوية مركزية عالمية ضمت بعض أهم المدن والموارد الإسلامية والعالمية وكان لها مرتكز في كل من أوربا وأسيا وأفريقيا»(٥٩).

واستمرت الأمة في مرحلة التمكين حتى عُزل الوزير صوقللو محمد، حيث كان هذا الوزير على قد كبير من المسئولية والكفاءة في قيادته شئون الدولة وبوفاته في ١٥٧٩م انحدرت الأمة لمرحلة الانحسار مجددا حيث شهدة الفترة ما بين وفاة الوزير صوقللو وتولية السلطان مصطفى الرابع في عام ١٨٠٧م حالة انحسار، ثم خسرت الدولة بعض مناطق الأطراف مما نقلها لمرحلة التفكك، وقد سعت الدول الأوربية على تشجيع القوميات للتمرد على الدولة العثمانية، فاحتلت بريطانيا مصر واحتلت فرنسا تونس واحتلت إيطاليا طرابلس، ثم انتقلت الأمة إلى مرحلة الانشقاق وهي اخر مرحلة من دورة حياتها الثانية، حيث انشقت مجموعات وكيانات ودول عن الأمة الواحدة وأصبح بعضها عدوا لأمته بيد الأمة الجاهلية، وانحسرت الأمة حتى لم يتبقى لها إلا مركز الخلافة في تركيا، وبعد انسحاب الدول

(٥٩) ادم جيه سيلفرستاين، مقدمة قصيرة في التاريخ الإسلامي، ترجمة إيناس المغربي، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠١٧م، صفحة ٤٤.

العربية عن الدولة العثمانية وقيام مصطفى أتاتورك بإنهاء دور الخلافة عام ١٩٢٤م تكون الأمة وصلت مجددا لمرحلة اللاوجود، حيث بقيت مجرد دويلات ضمن المنظومة الدولية للأمة الجاهلية (B) المنتصرة [٦٠].

تعقيب على الدورة الثانية من حياة أمة محمد ﷺ

التعقيب الأول: عمر هذه الدورة تقريبا (٦٣٦عام)، وقد تنقلت خلالها الأمة بين المراحل الأخيرة ولم تتنقل في كل مراحل الدورة، حيث نهضت من مرحلة اللاوجود باتجاه المراحل الأخيرة من الدورة مفككه كل مراحل السقوط وحتى وصلت لمرحلة التمكين، وقد أخذ منها الصعود العكسي ٢٢٤عام، ثم حافظت على بقائها في مرحلة التمكين لمدة ٨٣ عاما، ثم رجعت من نفس الطريق الذي صعدت منه ولكن هذه المرة منحدرة تدريجيا حتى عادت لمرحلة اللاوجود وقد أخذ منها هذا الانحدار ٣٢٩ عاما، ونلاحظ أن منحنى صعودها أخذ فترة أقل في حين أن منحنى سقوطها أخذ فترة أطول، والشكل رقم (١٥) يوضح سلم مراحل الصعود والانحدار في هذه الدورة.

شكل رقم (١٥) سلم مراحل الصعود والانحدار في الدورة الثانية لحياة أمة الإسلام

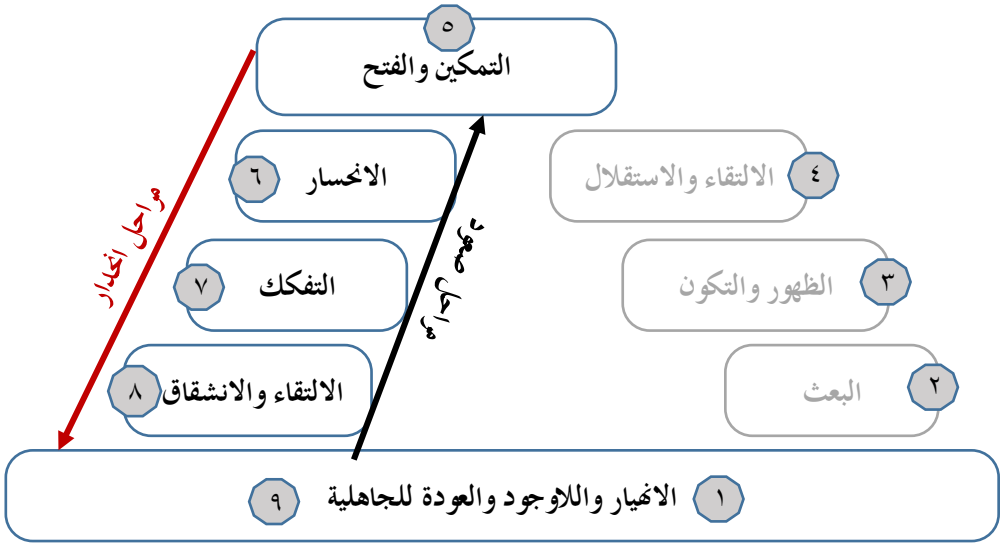

(٦٠) العصر العثماني تم تحليله بناء على ما في كتاب الدولة العثمانية النشأة والانهيار لسيد محمد السيد محمود، الناشر مكتبة الأدب، القاهرة، عام ٢٠٠٧م، عدد صفحاته ٤٦٣.

التعقيب الثاني: الدورة الأولى تسمى (دورة بعث) فهي ابتعاث من جديد حيث تتسلسل مراحلها من المرحلة الأولى صعودا حتى الوصول للتمكين، والدورة الثانية تسمى (دورة استبدال) حيث يستبدل الله للقيام بمهمة النهوض قوما غير القوم الذين انهارت الأمة بتقصيرهم، والنهوض من نهاية الدورة عكسيا حتى الوصول للتمكين لا يقل أهمية عن النهوض من بداية الدورة حتى الوصول للتمكين فكلاهما صعود، وكلاهما قياما بواجب الوصول للمكانة التي ارتضاها الله لأمة تحمل أحدث رسالة من الله للبشرية واخرها.

التعقيب الثالث: لم تلتقي الأمة الإسلامية في دورتها الثانية هذه مع بني إسرائيل ولا في أي مرحلة من المراحل، لقد بدأ التقاؤها مع بني إسرائيل عندما أُعلن عن قيام دولة إسرائيل وهذا كان في مرحلة اللاوجود كمرحلة أولى من مراحل الدورة الثالثة وبهذا تكون محطات التقاؤها مع بنى اسرائيل في دورتها الأولى ودورتها الثالثة كما سنوضحه في مبحث قادم إن شاء الله.

المبحث الثاني

أين نحن؟

بسقوط الخلافة العثمانية في عشرينيات القرن الماضي تكون الأمة الإسلامية ابتدأت دورة تاريخية ثالثة، حيث دخلت أول مرحلة من تلك الدورة وهي مرحلة الانهيار واللاوجود، «وكان أبرز مظاهر هذه المرحلة غياب الخلافة فأصبح المسلمون بلا دولة واحدة تجمعهم، ومن مظاهرها أيضا غياب المنهج الإسلامي حيث ظهرت دعوات تنادي بتنحية الشرع وتطبيق القوانين الوضعية»[٦١]، أما الأمة (B) المقابلة لأمة الإسلام فقد كانت في عز تمكينها وقوتها «وقدمت نهضة علمية خلال هذه الفترة في أغلب مجالات الحياة، في الطب والفضاء والتكنلوجيا والاتصالات والاقتصاد والمعلومات والاجتماع والصناعة المدنية والحربية، ومن أعظم الإنجازات التي حققتها تلك الأمة ما كان في مجال الحريات العامة وإعلان حقوق الانسان حيث لم تكن مجرد فكرة فلسفية بل تأسست مؤسسات دولية

(٦١) راغب السرجاني، امة الاسلام بين الصعود والهبوط، موقع هيئة علماء فلسطين، ٢٤/ مارس / ٢٠٢٥، رابط: https://palscholars.org/ .

وسنت قوانين لرعايتها والدفاع عنها، ولا ينكر منصف ما ارتقى إلية الغرب في رسوخ الديمقراطية حتى رأينا حكومات تدع السلطة طواعية رضا بنتائج الانتخابات ورأينا رؤساء ووزراء يحاكمون بالقانون، كل تلك الإنجازات حدثت وأمة الإسلام خلال هذه المرحلة في مسرح الحياة متفرجة»(٦٢).

وظلت الأمة الإسلامية في مرحلة اللاوجود والانهيار حتى أوائل السبعينيات، ثم انتقلت لمرحلة البعث في منتصف السبعينيات، حيث «ظهرت **حركات إصلاحية تجديدية** كالسنوسية والمهدية وحركة محمد بن عبد الوهاب، وظهرت حركة الإخوان المسلمين ١٩٢٨م، وظهرت الحركة الإسلامية في شبه القارة الهندية ١٩٤١م، وامتدت تلك الحركات الإصلاحية لعدة دول إسلامية مختلفة»(٦٣)، ومن أهم العوامل التي أدت لتحول الأمة إلى مرحلة البعث الإسلامي: رغبة الرواد في إصلاح الأوضاع المتردية وإعادة الوجود لهذه الأمة لتقوم بدورها مع الأمم الأخرى في نهضة البشرية وقيادتها، ومن العوامل أيضا شعور المصلحين بأن الأمة (B) بمنظومتها الحالية «قد بدأت في الانحدار القيمي والأخلاقي وأنه لابد من الحفاظ على الحضارة المادية التي وصلت إليها البشرية والبناء على ذلك الإبداع الحضاري الذي قدمته العبقرية الأوربية وتزويده بقيم جديده، وأن الأمة الإسلامية مؤهلة لهذا الدور لأنها لا تتنكر للإبداع المادي بل تعتبره وظيفة الإنسان في الحياة وعبادة لله تعالى»(٦٤) ، وقد اعتبر سيد قطب وأبو الأعلى المودودي غياب الأمة الإسلامية عن الحياة هو عودة للجاهلية التي كانت قبل بعثة النبي صلى الله علية وسلم، وقد رأى البعض هذا التوصيف نوعا من تكفير المجتمعات، ولكني أرى بأنه توصيف دقيق للمرحلة التي كانت فيها هذه الأمة، فالأمة الجاهلية (B) كانت هي الدائرة الأم التي تهيمن على كل المجتمعات بنظمها وقيمها ومناهجها، ولا يعني هذا نفي وجود أفراد أو مجتمعات مسلمة أو أن هذا التوصيف اخراجا لهم من الإسلام، ولكنه يعني بأن ذلك الوجود محكوم بمنظومة

(٦٢) يوسف القرضاوي، أمتنا بين قرنين، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، صفحة ١٧-٢٣، بتصرف.
(٦٣) طارق السويدان، اسباب انحدار الحضارة الإسلامية، موقع طارق السويدان، رابط: https://suwaidan.com .
(٦٤) سيد قطب، معالم في الطريق، دار الشروق، بيروت، الطبعة السادسة، ١٩٧٩م، ٣-٦، بتصرف.

الأمة الجاهلية وقيمها، وبالتالي فالأمة الإسلامية لا وجود لها بالمعنى المرحلي الذي نقصده فهي غائبة عن المشاركة في قيادة الحياة ولو تواجدت كأفراد ودول ومجتمعات.

لقد كانت فكرة البعث بهذه الطريقة التي أحدثتها الحركات الإسلامية فكرة إبداعية نقلت الأمة الإسلامية من مرحلة اللاوجود إلى مرحلة البعث وأعادت للأمة الاسلامية روحها التي هي سبب وجودها، وأظهرت الإسلام منهاجا صالحا للحياة وبديلا مناسبا لقيم ومناهج الأمة الجاهلية التي لم تعد صالحه، وأحيت هذه الصحوة في النفوس الإيمان وأشعلت الأمل وأزاحت الركام الذي خلفته مرحلة الانهيار، لقد كان يدرك أولئك الرواد «أن المسافة بين محاولة البعث وبين الوصول للتمكين مسافة شاسعة فقد غابت الأمة عن الوجود وعن الشهود دهرا طويلا وقد تولت قيادة البشرية أفكار وتصورات وأمم أخرى، وقد أبدعت العبقرية الأوربية في هذه الفترة رصيدا ضخما من العلم والثقافة والأنظمة والإنتاج المادي، وهو رصيد ضخم تقف البشرية على قمته ولا يمكن التفريط فيه ولا فيمن يمثله، ولكن مع كل هذه الاعتبارات إلا أنه مهما تكن المسافة شاسعة بين محاولة البعث وبين تسلم القيادة، فمحاولة البعث الإسلامي هي الخطوة الأولى التي لا يمكن تخطيها»[٦٥].

واستمرت الأمة الإسلامية في مرحلة البعث، فبدأت تتحسس نفسها وتسترجع أصلها، فحاولت تكوين نفسها عبر أليات ووسائل الأمة الجاهلية (B)، وذلك لأنها تعتبر ما قدمته تلك الأمة رصيدا يجب الحفاظ عليه ويجب تحديث ما لا يصلح منه بما يتناسب مع المنهج الإسلامي عملا بمبدأ (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)، ولكنها وصلت لإحباط نتيجة لانسداد الأفق السياسي، فقد تعاملت الأمة (B) مع تلك القوانين والمبادئ بازدواجية مع أنها مفخرة لها ورصيد ضخم يستحق أن تحافظ علية لا أن تتحايل في تنفيذه، ومع هذا فإن الأمة الإسلامية لم تيأس وحاولت التعبير عن رغبتها في الانتقال لمرحلة الظهور والتكوين بفكرة إبداعية جديدة فخرجت الشعوب بشكل تلقائي في حراك شعبي فيما يسمى بثورات الربيع العربي، ولو أتيحت الفرصة لنجاح هذا التحول لرأينا

(٦٥) سيد قطب، معالم في الطريق، دار الشروق، بيروت، الطبعة السادسة، ١٩٧٩م، ٣-٦، بتصرف.

نموذجا لحكم ديمقراطي إسلامي يضيف للبشرية حيوية جديدة ويساهم مع باقي الأمم في بناء الحضارة البشرية، ولكن للأسف نتيجة تخوف الأمة (B) من ظهور أنظمة مستقلة الإرادة تخرج من دائرة سيطرتها ونتيجة أيضا للانقسام الموجود داخل الأمة (A) فقد تم إجهاض هذا التحول، إن ردة فعل الأمة (B) على محاولة ظهور الأمة (A) لم تكن مجرد احتواء لتلك المحاولة أو إبقاءها تحت السيطرة لكنها تحولت لصراع داخلي عبر إحياء المناطقية والطائفية وزرع الفتنة حتى صارت الأمة (A) ساحة تتصارع فيها القوى الكبرى، وهذه هي سنة الله في التدافع، وقد مرت الأمة الإسلامية بنفس المرحلة في دوراتها السابقة اغتيل فيها روادها وهاجرت شعوبها وسجن أبناؤها واستشهد خيرة رجالها، وهي متعلقة بالله الذي خلقها ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَاۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ (الاعراف: ٨٩)، وهي مرحلة تحتاج بذل وعطاء مع استعانة بالله وصبر عظيم يذوب له كل أنواع المكر وتتحطم أمامه كل صيغ الكيد، وستكون النتيجة ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الاعراف: ١٢٨).

المبحث الثالث

أين سنكون؟

إذا كنا نعتبر الأمة (A) هي الأمة الإسلامية فالمنظومة الدولية في الوضع الحالي هي الأمة (B) متمثلة في القوى الكبرى بمؤسساتها، ولأن «المشروع الإسلامي لا يتحرك في فراغ بل يتفاعل تأثرا وتأثيرا متبادلا مع البيئة السياسية بمستوياتها المختلفة إقليميا ودوليا، وهذا يزيد من أهمية القراءة العميقة للتحولات التي يشهدها النظام الدولي والوقوف على الفرص المتاحة التي يمكن استثمارها في استئناف دور الأمة الإسلامية الحضارية»[٦٦]، ولكي نتنبأ

(٦٦) عاطف الجولاني، مشروع النهوض الإسلامي وتحولات النظام الدولي، موقع مجلة المجتمع ، ١٦ مارس ٢٠٢٤م، رابط المقال: https://mugtama.com/articles/ .

بمستقبل الأمة الإسلامية في ظل النظام الدولي يجب تحليل الوضع الحالي لكلا الأمتين، ثم وضع الاحتمالات المتوقعة مستقبليا.

الوضع الحالي للأمة (A)

إن ردة الفعل العنيفة التي تلقتها الأمة الإسلامية أجهض حلم التحول، ورجعت أكثر من خطوة للوراء، فهي لا زالت كدوائر متفرقة داخل دائرة المنظومة الدولية وبالتالي فهي لا أكثر من أن تكون ساحة تنافس بين القوى الكبرى لتلك المنظومة، وليس لها موقف موحد في القضايا الدولية الحيوية نتيجة الانقسامات الإقليمية التي تعيشها والصراعات الداخلية التي أرهقتها، ثم إن المنظومة الدولية تتعامل معها بمعايير مزدوجة في قضايا حقوق الإنسان وموضوع السيادة، فالموقف الدولي تجاه ما يحدث في غزة ومقارنته بالموقف تجاه حرب أوكرانيا يظهر ازدواجية واضحه في المعايير، ومن ناحية الفرص فالأمة الإسلامية تمتلك أدوات استراتيجية غير مستعملة كالموقع الجغرافي الاستراتيجي والموارد الطبيعية إضافة للوعي المتزايد بأهمية الوحدة والتكتل، كل ذلك يمثل فرصة متاحه لتعزيز وزنها في المستقبل، أيضا هذه الأمة تمتلك رسالة منسجمة مع فطرة الانسان وهذه الرسالة «تستطيع أن تقدم للبشرية الإيمان ولا تسلب منها العلم، وتعطيها الدين ولا تحرمها من الدنيا، وتصلها بالسماء ولا تمنعها من عمارة الأرض، وتمنحها نور الوحي ولا تحرمها نور العقل، وتقوى صلتها بالخالق ولا تقطعها عن الخلق»(٦٧).

الوضع الحالي للأمة (B)

يرى المؤرخ بيتر هيذر وعالم الاقتصادي السياسي جون رابلي في الكتاب المنشور عام ٢٠٢٣م تحت عنوان: (لماذا تسقط الإمبراطوريات: روما وأمريكا ومستقبل الغرب)، بأن القوى العالمية الحديثة بما فيها الولايات المتحدة تشهد ظروفا مشابهة للتي شهدتها

(٦٧) يوسف القرضاوي، حاجة البشرية إلى الرسالة الحضارية لأمتنا، ضمن سلسلة رسائل ترشيد الصحوة العدد ١١، الناشر مكتبة وهبة، ٢٠٠٠م، صفحة ٦٩.

الإمبراطورية الرومانية[٦٨])، كالتهديدات الخارجية، والتآكل الداخلي، والتكاليف الباهظة، وسوء الإدارة الاقتصادية[٦٩]، وسياسة فرق تسد تجاه الدول التابعة، والضم بالقوة، كلها أصبحت اليوم شائعة لدى القوى الاستعمارية الحديثة،[٧٠]، ، ولتجنب مصير الإمبراطورية الرومانية يرى الباحثان أنه لا يمكن استعادة التفوق الزمني تماما كما كان، لكن يمكن إعادة صياغة الدور في النظام العالمي ليكون أكثر توازنًا مع القوى الصاعدة[٧١].

لا شك أن الأمة (B) «تشهد تحولات جوهرية متسارعة، منها التنافس بين الولايات المتحدة المتمسكة بنفوذها الحالي والصين الطامحة في تعزيز نفوذها، ومنها التوتر الحاصل بين روسيا والولايات المتحدة والاتحاد الأوربي على وقع الحرب الروسية الاوكرانية، ومنها انحدار القيم الاجتماعية وأوضح مثال على ذلك هو مساعي تلك القوى مؤخرا لترويج حقوق المثليين وفرضها كهوية ثقافية وأخلاقية على دول العالم وقد تسبب هذا التوجه بخلاف شديد بين الأطراف الدولية مما جعلها قضية عالمية ذات أولوية وقد أعلنت روسيا والصين والدول الإسلامية تمسكها بهويتها الأخلاقية التي تعلى من شأن الأسرة وتتمسك بها كركيزة اجتماعية لا بديل عنها»[٧٢].

وما شهدته غزة أيضا بعد السابع من أكتوبر ٢٠٢٤م، من الإبادة الجماعية والكارثة الإنسانية تمثل وصمة عار أخلاقي وامتحانا حقيقيا للمنظومة الدولية التي تأسست على أساس ميثاق الأمم المتحدة والقانون الدولي الإنساني والإعلان العالمي لحقوق الإنساني، والتي تنص هذه المرجعيات على حماية المدنيين ومنع استخدام القوة المفرطة وضمان وصول المساعدات الإنسانية، غير أن الواقع العملي كشف فشل مجلس الأمن في القيام بدوره

(٦٨) محمد الخولي، عن صعود وسقوط الامبراطوريات، مجلة البيان، ٢٥ مايو ٢٠٠٥م، رابط:https://www.albayan.ae/opinions
(٦٩) فواز بن حمد الفواز، لماذا تسقط الامبراطوريات؟، موقع ايلاف، ٢٨ نوفمبر ٢٠٢٣، رابط:
https://elaph.com/Web/NewsPapers/
(٧٠) وفاء الساعدي، رزق الله الساعدي، سياسة روما تجاه الدولة السلوقية، موقع:Al-Mukhtar Journal of Social Sciences ، ٢٨ May ٢٠٢٤، https://www.semanticscholar.org/
(٧١) John Ikenberry, Why Empires Fall: Rome, America, and the Future of the West, on Foreign Affairs, December ١٢, https://www.foreignaffairs.com/
(٧٢) عاطف الجولاني، مشروع النهوض الإسلامي وتحولات النظام الدولي، موقع مجلة المجتمع ، ١٦ مارس ٢٠٢٤م، بتصرف، رابط المقال: https://mugtama.com/articles/ .

وإصدار قرارات ملزمة لوقف إطلاق النار أو حماية المدنيين بسبب الفيتو الأميركي مما يفضح قصور البنية القانونية عندما تتعارض مع مصالح الكبار، وقد تجلت ازدواجية المعايير عندما يقارن الشخص موقف القوى الكبرى من حرب أوكرانيا وكيف تم مساندتها في حين أن تلك القوى نفسها في حرب غزة تقف مع الظالم المعتدي بالسلاح والمال، بل تطور الأمر لما يشبه الإشراف على ذبح شعب كامل وصب ملايين المتفجرات على رؤوس الأطفال والأبرياء المدنيين في حرب لا تشبه حروب الماضي ولا حروب العصر الحديث ولا حتى الحروب في المستقبل، هذه الازدواجية جعلت البعض يرى بأن تلك المبادئ العالمية قد تحولت لأداة بيد القوى الكبرى بدلا من كونها قيم إنسانية عالمية، إن مأساة غزة لم تكشف فقط عن عجز قانوني وسياسي في المنظومة الدولية الحالية بل تطرح سؤالا جوهريا حول مستقبل النظام الدولي وقدرته على الاستمرار كإطار ضامن للعدالة والإنسانية.

مستقبل الأمة (B)

لا شك أن هناك عقلاء في نفس المنظومة الدولية يمثلون صوت الضمير الإنساني الحر لا يزالون متمسكين بالقيم الإنسانية، ويتأسفون للوضع الذي وصلت إلية تلك المنظومة، ولكن هل يستطيع هؤلاء إصلاح ما أفسدته هيمنة المصالح السياسية والعسكرية للقوى الكبرى، والإجابة على هذا التساؤل يضعنا أمام احتمالين:

الاحتمال الأول: أن تمتلك الأمة (B) القدرة على تقييم نفسها ومعالجة أخطاءها فتقوم بإصلاح منظومتها الحالية ولكن هذا مشروط بإرادة سياسية من القوى الكبرى.

الاحتمال الثاني: أن يستكبر ويعاند أصحاب النفوذ والقوة فيخفت صوت العقلاء ويتوارى، وبالتالي نحن أمام ثلاثة سيناريوهات: إما نظام متعدد الأقطاب حيث تؤكد بعض الأبحاث أن صعود الصين يعيد النظام الدولي إلى نوع من القطبية الثنائية(٧٣)، أو أننا

(٧٣) Jennifer Lind, Back to Bipolarity: How China's Rise Transformed the Balance of Power, on MIT Press Direct, October ٠١ ٢٠٢٤, https://direct.mit.edu/isec/article/٤٩/٢/٧/١٢٥٢١٤/Back-to-Bipolarity-How-China-s-Rise-Transformed?utm_source=chatgpt.com

سنكون أمام ولادة منظومة جديدة كليا وقد رأينا بوادر هذا الاحتمال في المبادرة التي طرحتها الصين مع روسيا لبناء نظام عالمي أكثر عدلا بحسب تصريح وزير الخارجية الصيني[٧٤]، أو عودة العالم إلى توازنات القوة المجردة حيث يحل محل المبادئ صفقات القوة.

والذي أتمناه لو تنفع الأماني هو أن تولد من الأمة (B) أمة تعتنق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وتؤمن بها وتقود البشرية بمنهج الله القويم فتبنى لنفسها مجدا يؤهلها لقيادة العالم لألف سنة قادمة، إنها بهذا التحول تنتقل من كونها الأمة (B) إلى كونها أمة الإسلام وحاملة رايته، إنه تحول تاريخي يضمن لها مجدا لا يتوقف على الدنيا بل يمتد لتضمن مصيرها الأبدي بعد الموت، هذه فكرة إبداعية لكنها ليست بهذه السهولة عند التفكير في تنفيذها، وما يدرينا لعله حان الوقت لتلك العقول التي قادة الحضارة الحديثة أن ترى النور وتهدي به، إن الأمة (B) إذا ما اهتدت للخير وتواضعت في الاستجابة لنداء الفطرة ورسالة الله فإن لديها ما يؤهلها للقيام بمثل هذه المهمة.

مستقبل الأمة (A)

مستقبل الأمة (A) لا يحدده فقط وضعها المرحلي الذي تعيشه، فانهيار منظومة الأمة (B) من عدمه مؤشر مهم للتنبؤ بمستقبل الامة (A)، فكثيرا من الأمم التي صعدت على مر التاريخ كان صعودها لسد الفراغ الذي تركته الأمم التي انهارت ذاتيا بفعل نفسها، ولهذا يمكن القول بأن مستقبل الأمة في حال حدوث الاحتمال الأول وذلك إذا ما استطاعت الأمة (B) إصلاح منظومتها الحالية: فإن الأمة (A) ستعود إلى مرحلة اللاوجود هذا فقط في حال أنها لم تبادر بتوحيد نفسها وتبني لنفسها تكتلا مستقلا (سياسيا واقتصاديا وأمنيا)، أما في حال الاحتمال الثاني: ففي السيناريو الأول منه وذلك

(٧٤) موقع عربي، تعاون صيني روسي لبناء نظام عالمي أكثر عدلا، لندن عربي، ٤ سبتمبر ٢٠٢٥م، https://arabi٢١.com/story/١٧٠٤٧٩٣/

بوجود نظام ثنائي القطبية: فإن الأمة الإسلامية إذا ما شكلت لنفسها تكتلا يجمعها واستفادة من توازن القوة فمن المحتمل أن تجد لنفسها موضع تفاوضي أفضل، ما لم فبدون هذا التكتل الجامع فستظل ساحة تنافس وصراعات بالوكالة، وأما إذا حدث السيناريو الثاني من الاحتمال الثاني وذلك بولادة منظومة جديدة تعبر عن الأمة (B): فإن الأمة الإسلامية قد تكسب وزنا أكبر بحكم الموقع الجغرافي والموارد التي تمتلكها، ولكن يظل التخوف قائما في أن تظل مجرد تابعه للمنظومة الجديدة إذا لم تبنى لنفسها مؤسسات استراتيجية مشتركة. أما في حال حدوث السيناريو الثالث من الاحتمال الثاني وذلك بعودة العالم إلى توازنات القوة المجردة فإن « الولايات المتحدة والصين ستتنافس على النفوذ والتأثير على بلدان الأمة العربية والإسلامية وفق أولويات كلا منها ومصالحه، ولكن إذا سعى قادة تلك البلدان إلى تصوّر مستقبل تتصرَّف فيه دول المنطقة بجرأة وبأشكال جديدة وفق إرادتها الحرّة لإعادة ضبط الديناميات السياسية الإقليمية، وللاستثمار في التكنولوجيا واقتصادات المستقبل الخضراء، يُمكنها أن تبدأ برؤية خطوات كفيلة ببناء مستقبل لأمتنا، والحدّ من تنافس واشنطن وبكين في المنطقة»[٧٥]، ولكن من يا ترى سينبري من قادة هذه الأمة وعقلائها لمثل هذه الخطوة فيسجلوا لها مرحلة جديدة ؟.

متطلبات وواجبات المرحلة الحالية للأمة (A).

إذا كانت الجماعات الإصلاحية في مرحلة البعث هي الفكرة الإبداعية فإننا في المرحلة الحالية بحاجة لفكرة إبداعية جديدة، نحن بحاجة لتجاوز عقلية الأحزاب والجماعات والانتقال من متطلبات تلك المرحلة التي كانت تفرضها ظروف معينة إلى التوجه للمشاركة مع قادة الدول الإسلامية في بناء بلداننا، إن هذه الخطوة ليست تقليلا للدور الذي قامت به تلك الجماعات خلال المرحلة السابقة، ولكن أيضا «ليس من المنطقي أن تتحمل تلك الجماعات ما لا تطيقه ويفوق قدراتها وإمكانياتها إذ يعاملهم العالم بأنهم اخطبوط

(٧٥) ستيفن كيني وبارين كايا أوغلو، الولايات المتحدة والصين في الشرق الأوسط: ثلاثة سيناريوهات حتى ٢٠٢٥م، موقع *معهد الشرق الأوسط*، تاريخ: ٣٠ أبريل ٢٠٢٤م، رابط: https://arabic.mei.edu/arabic/ .

وامبراطورية عالمية وخلافة إسلامية على امتداد القارات في حين أن هذه صورة خيالية وهمية»[٧٦]، إن القطيعة بين أنظمة الدول الإسلامية وبين الجماعات الإصلاحية أضرت بالأنظمة وأضرت بالشعوب وبالجماعات معا، وأعتقد بأن الجماعات الإصلاحية لديها رشدا كافيا يجعلها مرنة فيما يخص التسمية وتغيير الهياكل الإدارية ولن تتردد لحظة عن اتخاذ أي إجراء يمثل مصلحة حقيقية للأمة فهم منها ولها، إذا ما صدقت تلك الأنظمة في ولائها لأمتها ولدينها.

إن الفكرة الإبداعية التي يكاد يجمع عليها عقلاء الأمة الإسلامية ومفكروها والغيورون على أمتهم، هي أن المرحلة تحتاج تحييد الخلافات وبناء صيغة تحالف تتوحد عليها البلاد العربية والإسلامية.

ففي مؤتمر بعنوان: غزة مسئولية إسلامية وإنسانية والذي شارك فيه ١٠٠ عالم من علماء المسلمين من أكثر من ٥٠ دولة وأقيم في إسطنبول وأشرف على تنظيمه الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين بالتعاون مع مؤسسة وقف علماء الإسلام وبدعم بروتوكولي من رئاسة الشئون الدينية التركية، أكدوا على وجوب بناء تحالف إسلامي متماسك[٧٧].

وفي مؤتمر صحفي عُقد في إسلام أباد لرئيس الوزراء الماليزي الأسبق الدكتور مهاتير محمد دعا فيه الأمة الإسلامية التي يبلغ عددها ١,٣ مليار شخص على إنهاء خلافاتهم الداخلية وتوحيد صفوفهم ليصبحوا قوة عالمية موحدة[٧٨].

وفي تصريح للرئيس التركي رجب طيب أردوغان أن الدول الإسلامية يجب أن تُشكِّل تحالفًا ضد ما وصفه بالتوسع الصهيوني المتزايد[٧٩].

---

(٧٦) أحمد موفق زيدان، متى ستحل جماعة الإخوان نفسها في سوريا، موقع الجزيرة نت، ٢٢ أغسطس ٢٠٢٥م، رابط: https://www.aljazeera.net/opinions/٢٠٢٥/٨/٢٢/

(٧٧) موقع الجزيره، مؤتمر "غزة مسؤولية إسلامية وإنسانية" في إسطنبول ينطلق بنداء نصرة القطاع، تاريخ ٢٠٢٥/٨/٢٢، رابط: https://www.aljazeera.net/politics/٢٠٢٥/٨/٢٢/مؤتمر-غزة-مسؤولية-إسلامية-وإنسانية .

(٧٨) موقع:DWAN ، بعنوان: Muslims' strength lies in unity ، بتاريخ: ٢٠٢٥ ,١٢، رابط : https://www.dawn.com/

(٧٩) موقع وكالة رويترز، بعنوان: Turkey's Erdogan calls for Islamic alliance against Israel، بتاريخ ٧ سبتمبر ٢٠٢٤، رابط: https://www.reuters.com/world/middle-east/turkeys-erdogan-calls-islamic-alliance-against-israel-٢٠٢٤-٠٩-٠٧/?utm_source=chatgpt.com

وفي خطاب لشيخ الأزهر الدكتور احمد الطيب تحدث عن التجربة الأوربية رغم تعدد أعراقهم ولغاتهم ومعتقداتهم إلا أنهم حققوا اتحادا يحمي مواطنيهم ويحافظ على هويتهم، ودعا المسلمين استلهام هذه التجارب ليحققوا لأمتهم اتحادا قائما على عناصر مشتركة يحمي بقائهم وسط العواصف المدمرة(٨٠).

وأكد وزير الدفاع الباكستاني، خواجه محمد آصف في مقابلة مع قناة «جيو» الباكستانية أن الوقت قد حان لتأسيس «ناتو إسلامي» لمواجهة التحديات المشتركة(٨١).

والدكتور طارق السويدان عبر منشور له يؤكد أننا أمام ساعة وعي وساعة إدراك وأن وجودنا كالجسد الواحد هو تضامن مع أنفسنا ومع مستقبل أمتنا، وأن المعركة ليست ضد غزة فحسب بل هي ضد الأمة كلها وضد أي تحرك لوحدة المسلمين (٨٢). وفي فتوى للدكتور فضل مراد يؤكد أن الوحدة الإسلامية لم تعد خيارا بل هي فرض عين(٨٣).

فالأمة الإسلامية في مرحلة تحول حقيقي «أمامها مفترق طريق تاريخي، إما أن نستيقظ وإما أن نعيش قرنا آخر من الإهانة، فالغطرسة الصهيونية المدعومة أمريكيا تقتضي صحوة استراتيجية قبل فوات الأوان، لا بد من تحييد الخلافات البينية والمناكفات الهامشية، ولا بد من إحياء مفهوم الأمن القومي المشترك، وبناء منظومات دفاعية جماعية، وتقييم جديد لتحالفات دول المنطقة مع القوى الاقليمية والعالمية، وتنويع مصادر تسليحها»(٨٤).

---

(٨٠) أحمد الطيب، موقع: Sada Elbalad english، بعنوان: Al-Azhar Grand Imam Calls to Foster Unity Among Islamic Schools of Thought، تاريخ: ٢٠٢٥/٢/١٩، رابط: https://see.news/al-azhar-grand-imam-calls-to-foster-unity-among-islamic-schools-of-thought?utm_source=chatgpt.com

(٨١) خالد عبد الحميد، بعنوان وزير الدفاع الباكستاني حان وقت تشكيل «ناتو إسلامي»، موقع جريدة الوطن المصرية، بتاريخ: الخميس ١٨ سبتمبر ٢٠٢٥م، رابط: https://elwatanelmasry.com/?p=٢٤٠٣٣٤ .

(٨٢) طارق السويدان عبر صفحته في الفيس بك بتاريخ ٢٠٢٥/٩/١٠م، رابط: https://www.facebook.com/share/p/١BcDGts٨w٣/

(٨٣) فضل مراد، فتوى وجود انشاء تحالف إسلامي، عبر صفحته في الفيس بك، نشر بتاريخ ٢٠٢٥/٩/١٠، والفتوى مؤرخه بتاريخ ٢٠٢٥/٧/٢٩، رابط : https://www.facebook.com/share/p/١FbHktmuHH/

(٨٤) وضاح خنفر عبر منصة اكس تاريخ ٢٠٢٥/٩/١٠، https://x.com/khanfarw/status/١٩٦٥٥٢١١٢٥٧٠٣٩٠٩٤٩٣?t=Xdssko٦CVxtxcnRaNGSWog&s=١٩

المبحث الرابع

موقع بنى إسرائيل من دورات حياة أمة محمد ﷺ

أولا: نبوءة سورة الإسراء

في سورة الإسراء والتي تسمى بسورة بني إسرائيل يخبرنا الله تعالى بأن بني إسرائيل ستلتقي مع أمة محمد صلى الله علية وسلم في فترات متقطعة، قال الله تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ (الاسراء: ٤)، فالنبوءة تتحدث عن وعدين قضى الله بتحققهما في ثلاث مراحل التقاء مع أمة الرسالة الجديدة:

١. **وعد (لتفسدن)**: في فترتين متباعدتين:
   i. الإفساد الأول (وعد أولاهما) وهي مرحلة الالتقاء الأولى.
   ii. والإفساد الثاني (وعد الاخرة) وهي مرحلة الالتقاء الأخيرة.
٢. **ووعد (لتعلن)**: العلو الكبير، وهي مرحلة الالتقاء الثانية، فهي متوسطة بين تلك المرحلتين.

فكانت هذه الآية كمقدمة إجمالية لما قضاه الله ووعد به، ثم جاءت الآيات التالية كشرح لتحديد تفاصيل الأحداث والوقائع التي ستحدث في كل مرحلة من تلك المراحل الثلاثة كالتالي:

(المرحلة الأولى): إفساد المرة الأولى (وعد أولاهما)

﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا ﴾ (الاسراء: ٥)، أي وعد تحقق ممارستهم للإفساد الأول، قد يظن البعض بأن الوعد هنا هو الوعد بالزوال وهذا غير صحيح لأن القضاء الذي وعد الله به هو قوله تعالى (لتفسدن) و(لتعلن)، فوعد أولاهما هو وقوع إفسادهم في المرة الأولى، ووعد

الآخرة هو وقوع إفسادهم في المرة الثانية، وقد ذكرت الآية ثلاث أحداث مهمة في مرحلة وعد أولاهما، حدث من طرف بني إسرائيل واثنين من طرف أمة محمد صلى الله علية وسلم:

١. حدث الإفساد من طرف بني إسرائيل، ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا ﴾ (الاسراء: ٥).

٢. يبعث الله رجالا أقوياء من أمة محمد، ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾(الاسراء: ٥).

٣. يجوس هؤلاء الرجال ديار بني إسرائيل، ويخرجونهم منها ﴿ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ﴾ (الاسراء: ٥).

والتعليق على هذه المرحلة بأحداثها بعبارة (وكان وعدا مفعولا) توحي بأن الوعد الأول كان جاريا أثناء تنزل الآيات، فما وعد الله به وتحقق أثناء فترة تنزل القران كان وعدا مفعولا، وما وعد الله به ولكنه لم يتحقق إلا بعد وفاة النبي صلى الله علية وسلم فهو (وعدا مأتيا) ولكن بعد تحققه يكون وعدا مفعولا، وما وعد الله به ولم يتحقق حتى الأن فهو (وعدا مأتيا) وعند تحققه سيخر الذين أوتوا العلم من قبله للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا.

فالمرحلة هذه بكل أحداثها الثلاثة حدثت في عهد النبي صلى الله علية وسلم، وكان هؤلاء الرجال هم محمد صلى الله علية وسلم وأصحابه مع بداية تكون أمة الإسلام، ولفظ الديار هنا متناسب مع ديار بني النظير المشار إليها في سورة الحشر ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ ﴾ (الحشر: ١)، فهناك تناسب بين (أول الحشر) وبين (وعد أولاهما) وتناسب بين (من ديارهم) وبين (فجاسوا خلال الديار).

(المرحلة الوسطى): العلو الكبير

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾ (الاسراء: ٦)، ثم رددنا لكم يا بنى اسرائيل الكرة على أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وحرف العطف (ثم) تفيد بأن هناك فتره زمنيه طويله ما بين وعد (لتفسدن) في المرة الأولى ووعد (لتعلن) والذي فصلته هذه الآية بعبارة ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾ (الاسراء: ٦)، وهذا هو ما حدث فعلا فلم ترجع لبنى اسرائيل الكره إلا في ١٩٤٨م عند قيام دولة إسرائيل، والآية تحدثنا عن ثلاث أحداث مهمه ستحدث في هذه المرحلة كلها من طرف بني إسرائيل، وسبب تجاهل ذكر أي حدث يتعلق بأمة محمد صلى الله علية وسلم لأنها مغيبة في مرحلة اللاوجود كما سنوضح ذلك في التقاء مراحل بني إسرائيل مع دورة حياة أمة محمد صلى الله علية وسلم، هذه الأحداث الواقعة في مرحلة العلو الكبير هي:

١. عودة الدورة لصالح بني إسرائيل ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾ (الاسراء: ٦)، واحتشادهم من الشتات من مختلف دول العالم، ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ (الاسراء: ١٠٤).
٢. إمدادهم بالأموال والأسلحة وحتى الأولاد، ﴿ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ﴾ (الاسراء: ٦)، ولفظ الإمداد يوحي بأن البنين والأموال لم تكن ذاتيه وإنما تم إمدادهم لوجستيا من خارجهم.
٣. زيادة قدرتهم على الاستنفار والتحشيد، ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ (الاسراء: ٦).

لقد كانت هذه المرحلة بكل أحداثها الثلاثة أثناء نزول الآيات وعدا مأتيا لم تقع، ولكنها اليوم وعدا مفعولا عاشها أباءونا وعشنا نحن أحداثها، ويخاطب الله بني إسرائيل في هذه

المرحلة بأن لديهم الخيار والإرادة أن يحسنوا أو أن يسيئوا،﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ (الاسراء: ٦)، والذي حدث للأسف أنهم لم يحسنوا بل أساءوا وهذه الإساءة عليهم حتما.

(المرحلة الأخيرة): إفساد المرة الثانية (وعد الآخرة)

ثم تمضي الآية في ذكر الاحداث التي ستحدث في مرحلة وعد الأخرة وهي أربعة أحداث مهمة، حدث من طرف بني إسرائيل وثلاثة أحداث من طرف أمة محمد صلى الله علية وسلم:

١. إفساد بني إسرائيل للمرة الثانية ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ ﴾ (الاسراء: ٧)، أي وعد تحقق ممارستهم للإفساد الثاني.
٢. يشوه المسلمون وجوه بني إسرائيل وتسوء سمعتهم ويظهر قبحهم فتزداد عزلتهم حول العالم ويقوم بهذا بعض أبناء أمة محمد صلى الله علية وسلم ﴿لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾ (الاسراء: ٧).
٣. يدخل المسلمون المسجد الأقصى ﴿ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (الاسراء: ٧)، وقوله: كما دخلوه أول مره ، يدل بأن دخول المسلمون للأقصى سيكون مشابه لدخولهم الأول عبر فتح عظيم.
٤. انهيار كل ذلك العلو ﴿ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴾(الاسراء: ٧)، وكلمة (يتبروا) مأخوذة من التبر وهو الذهب الخام الموجود في الطبيعة وتتبيره هو تفتيته واهلاكه ليتم استخلاص الذهب منه.

وهذه المرحلة بأحداثها الأربعة كانت نبوءة غيبية حتى بالأمس القريب، ونحن اليوم أثناء كتابة هذه الكلمات نعيش الحدث الأول والثاني من هذه المرحلة، وليس هناك وصفا أدق

لما يحدث من تشويه لسمعة الكيان الإسرائيلي وكشف ممارساتهم التي سببت لهم العزلة من عبارة (ليسوؤوا وجوهكم)، وبقى حدثان من أحداث هذه المرحلة لم يرى الناس حدوثهما، ولكن من صدقنا وعده في وقائع مرحلتين ونصف المرحلة الثالثة فسيصدق وعده في وقائع نصف المرحلة الثالثة، ومن صدقنا وعده في ثمانية أحداث وكان وعده مفعولا فلن يخلف وعده في حدثين إنه كان وعده مأتيا.

الخلاصة: ترسم نبوءة آيات سورة الإسراء ثلاث مراحل واضحة تلتقي فيها أمة بني إسرائيل بأمة محمد صلى الله عليه وسلم:

١. إفسادهم للمرة الأولى وانتهى بإخراجهم من ديارهم وهو ما حدث في الدورة الأولى من حياة هذه الأمة بوجود نبيها صلى الله عليه وسلم.
٢. عودتهم للغلبة وهو ما حدث في منتصف القرن العشرين بعد إكمال الدورة الثانية وفي بداية الدورة الثالثة من حياة أمة محمد صلى الله علية وسلم.
٣. ثم إفسادهم للمرة الثانية وهو ما نعيش جزء من أحداثه اليوم، والذي سينتهي بدخول المسجد وانهيار علوهم وسيكون في الدورة الحالية التي تعتبر الدورة الثالثة من حياة أمة محمد صلى الله علية وسلم.

ثانيا: ما يدل على أن النبوءة تتحدث عن تاريخ بني إسرائيل مع أمة محمد ﷺ

« ذهب أكثر المفسرين إلى أن الآيات تتحدث عن تاريخ اليهود القديم قبل الإسلام وأن الإفسادين كانا قبل الاسلام، في حين يرى الدكتور عبد الكريم الخطيب والأستاذ بسام جرار وخالد عبد الواحد بأن الإفساد الأول كان قبل الإسلام والإفساد الثاني هو ما نعيشه الان، وهناك من يرى بأن الإفسادين كلاهما في زمننا المعاصر وهو رأي الدكتور عمر الأشقر، ولكن هناك ما يدل بوضوح على أن هذه النبوءة تصف مراحل بني إسرائيل مع هذه الأمة وأن إفسادهم الأول كان في بداية هذه الأمه والإفساد الثاني ما نعيشه الان،

وقد قال بهذا القول الشيخ الشعراوي والشيخ عبدالمعز عبدالستار والدكتور محمد سعيد حوى والدكتور صلاح الخالدي» [٨٥]، وهذه إشارات واضحة تؤكد هذا القول:

١. افتتحت سورة الإسراء بذكر حادثة الإسراء بالنبي محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، هذا الافتتاح يشير بأن ما بعده يتصل برسالته ﷺ وأمته، فالسياق قرينة قوية على أن الآيات ترسم وضع بني إسرائيل مع الأمة الجديدة والرسالة الخاتمة.

٢. التاريخ القديم لبني إسرائيل قبل الاسلام يحكي عن مرات كثيرة أفسدوا في الأرض مع أنبيائهم ومع أمتهم ومع باقي الأمم، والآيات ذكرت فسادين فقط، ولهذا لا يستقيم أن تكون النبوءة وصفا لتاريخهم القديم، بل هو وصف لتاريخهم الذي سيكون بعد بعثة أمة محمد ﷺ خاصة لأن فترات إفسادهم كثيرة عبر التاريخ.

٣. «عدم ذكر المسجد (الأقصى) في أحداث وعد أولاهما يدل بأن أحداث تلك المرحلة من الإفساد وبعث عبادا لنا وخروجهم من ديارهم كلها دارت في أرض غير بيت المقدس، مما يرجح احتمال أن المقصود بالإفساد الأول ما فعله اليهود في المدينة» [٨٦]، وذكر المسجد في وعد الاخرة يشير بوضوح بأنه سيكون مركز الصراع ومحور ما سيحدث في تلك المرحلة.

٤. لفظ (بعثنا) متناسب مع مرحلة البعثة النبوية، فالبعث هو إحياء بعد موت، وهذا هو توصيف دقيق للمرحلة التي كانت عليها الأمة الإسلامية فهي بعثت بعد مرحلة اللاوجود، وبالتالي لا البابليون ولا بختنصر يمكن أن ينطبق عليهم لفظ بعثنا، ثم إن لفظ (عبادا لنا) هوية واضحة ودقيقة لمحمد رسول الله والذين معه، «وهم الذين يستحقون شرف هذه النسبة عباد لنا، لأنهم الموحدون أتباع عبدالله الذي أُسري به، أمّا أتباع بختنصر أو سابور أو ضحابين أو سنحاريب وغيرهم ممن اضطربت

(٨٥) انظر رأفت المصري، بيت المقدس وأسس المعركة القادمة مع اليهود، دار الفاروق، ٢٠١٦م، صفحة ١٥٥-١٥٦.
(٨٦) محمد سعيد حوى، مستقبل الصراع على الأرض المقدسة، دار الرازي، عمان، ٢٠٠٥م، صفحة ٧٧.

فيهم أقوال المفسرين، فقد كانوا عُبّاد وثن لا يستحقون شرف الاختصاص بالله في عبادا لنا» (٨٧).

٥. عدم الإشارة لفسادهم الأخير بأنه وعدا مفعولا يدل على أن ذلك لم يكن قد تحقق بعد، ولو كان الافساد في كلا المرتين حدثا قبل الإسلام في تاريخ بني إسرائيل القديم لكان كلاهما وعدا مفعولا، وانما اختص افسادهم الأول فقط بكونه وعدا مفعولا «لأنه كان ناجزا متحققا أثناء نزول الآيات في جانبيه تحقق الوعد بحصول الإفساد الأول، وتحقق الوعد ببعثة عبادا لنا ربانيين مجاهدون يزيلون ذلك الإفساد، وما قبض الرسول علية الصلاة والسلام إلا وقد تحققت كل جوانب الوعد وأزيل إفسادهم وانتهت قبائل اليهود بنى قينقاع و قريظة و النظير ويهود خيبر»(٨٨).

٦. ادعى البعض بأن اليهود في الجزيرة العربية لم يكن لهم ديار وإنما كانت ديار العرب ولهذا استبعدوا أن يكون الرسول والصحابة هم الذين جاسوا خلال الديار، والحقيقة أن الله تعالى في سورة الحشر نسب الديار لهم في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ ﴾ (الحشر: ١)، وسياق هذه الآيات يتحدث عن بني النظير وقد سميت هذه السورة بسورة بني النظير، وأضاف البيوت لهم واعتبرها ملكا لهم في قوله (يخربون بيوتهم).

٧. بنو إسرائيل تم مخاطبتهم بضمير المخاطب (أنتم) في كل تلك الآيات (لتفسدن، لتعلن، عليكم، لكم، أمددناكم، جعلناكم، أحسنتم، وجوهكم) في حين كان الضمير الذي يتحدث عن الأمة المقابلة لبني إسرائيل هو ضمير الغائب (هم) في كل تلك الآيات (جاسوا، عليهم، ليسوءا، ليدخلوا، دخلوه، ليتبروا)، وهذا يعني أن الأمة المقابلة لبنى إسرائيل في مرحلة وعد أولاهما هي نفسها الأمة المقابلة لها في مرحلة علوهم الكبير وهي نفسها الأمة المقابلة لها في مرحلة وعد الاخرة، ولهذا

(٨٧) عبدالمعز عبد الستار، مجلّة (الأزهر) الغرّاء، الجزء السادس، عدد غرة جُمادى الآخرة ١٣٧٦هـ - ٢ يناير ١٩٥٧م، المجلد ٢٨.
(٨٨) صلاح الخالدي، وعود القران بالتمكين، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٣م، صفحة ١١٦.

لا يناسب أن يكونوا في وعد أولاهما بختنصر وقومه وفي وعد الاخرة الرومان، فهؤلاء قوم وأولئك قوم أخرون، ولا يوجد عبر التاريخ أمة تزامنت مع بنى اسرائيل في تلك الأحداث كلها بتفاصيلها التي تحدثت عليها الآيات إلا أمة محمد صلى الله علية وسلم، وأيضا لا يستقيم أن يكون المخاطب بـ (لتفسدن) بنو إسرائيل ثم يكون المخاطب بـ (رددنا لكم الكرة، وأمددناكم) أمة محمد صلى الله عليه وسلم لأن هذا تعسف لا يتناسب مع الدقة الهندسية لمواضع الحروف والكلمات في القران الكريم، «فتوحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها، وهذه قاعدة لغوية تعتبر من القرائن في الترجيح بين أقوال المفسرين، كما أن رجوع الضمير إلى المتحدث عنه في السياق أولى من رجوعه إلى غيره لأنه هو المقصود بالكلام وإليه يتوجه الخطاب»[٨٩]، وإنما تم مخاطبة بنى إسرائيل بضمير المخاطب لأن النبوءة موجهه لهم وفي كتابهم، أما أمة محمد فيناسبها ضمير الغائب بحكم أنها لم تكن قد خرجت للوجود بعد، وبناء على هذه القاعدة يكون الضمير في كلمة (يتبروا) يعود لأمة محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك في لفظ (ما علوا) أي أن أمة محمد يتبروا ما علوه هم، ولو كان الضمير يعود لبني اسرائيل لجاء بصيغة (وليتبروا ما علوتم) ليتناسب مع السياق (ليسوؤوا وجوهكم)، فهل تكون شبكة الأنفاق العملاقة هي المقصودة بلفظ ما علوه، وخاصة أن التتبير مأخوذ من تبر الذهب وهي عملية استخراجه من باطن الأرض وهذه العملية تتطلب تنقيب وتكسير وتفتيت وطحن ويسبقها استخدام أجهزة كشف وتقنيات استشعار لمعرفة العروق التي تحتوي على تبر الذهب ومدى عمقها من الأرض، وقد يصح أن يعود الضمير في (ما علوا) إلى بني اسرائيل ويكون الالتفات من الحضور إلى الغيبة لغرض بلاغي وهو أن بنى إسرائيل بعد دخول المسلمين للمسجد الأقصى لم يعد لهم

(٨٩) حامد المجرب وحسين الشمري، توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها وأثر ذلك على التفسير، دراسة تطبيقية على تفسير الدر المصون للسمين الحلبي، مجلة حولية كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، العدد ٣٧، المجلد، الثاني، ٢٠٢٣م، صفحة ٢١٠.

وجود كدولة ولهذا استخدم ضمير الغائب، ولكن الأولى هو توحيد رجوع ضمائر المخاطب في جميع السياق إلى بني إسرائيل وضمائر الغائب إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

ثالثا: أسباب اللبس في فهم النبوءة عند البعض وإزالته بالتوضيح

١. استشكل بعضهم أن يكون الإفساد الأول حدث في الدورة الأولى من حياة هذه الأمة أثناء وجود نبيها صلى الله علية وسلم، وهذا الاستشكال سببه أن بني إسرائيل لم يكونوا في بيت المقدس، وكأنهم فهموا من قوله تعالى (لتفسدن في الأرض) بأنها أرض بيت المقدس، وهذا غير صحيح وذلك لأن القران الكريم يفسر بعضه بعضا، فحين يكون المراد بأنها بيت المقدس تكون مضافة بـ (المقدسة) أو بـ (التي باركنا فيها)، ففي قوله تعالى ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ﴾(الاعراف: ١٣٧)، فالأرض هنا هي بيت المقدس بدليل التعريف لها بجملة الصلة (التي باركنا فيها)، ومثلها ﴿ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (الانبياء: ٧١)، وكذلك ﴿ يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ﴾ (المائدة: ٢١)، فالأرض هنا بيت المقدس بدليل التعريف لها بإضافة المقدسة، أما عندما يذكر لفظ الأرض بدون تعريف بالإضافة فالمقصود بها أرض الله الواسعة بدون تحديد، فقوله تعالى: ﴿ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (المائدة: ٦٤)، فمعناها أي أرض ينزلون بها وليس فقط أرض بيت المقدس، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ (الاسراء: ١٠٤)، معناها «وقلنا من بعد موسى لبني إسرائيل اسكنوا الأرض كلها متفرقين، فإذا جاء وعد الإفسادة الثانية جئنا بكم

إلى أرض فلسطين»[٩٠] ، فعبارة اسكنوا الأرض تعني أرض الله بدون تحديد ويفسرها قوله تعالى: ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ﴾(الاعراف: ١٦٨)، وبهذا يزال هذا الإشكال في معنى (لتفسدن في الأرض) فالأرض هنا هي الأرض بلفظها العام وليس بيت المقدس.

٢. وفهم البعض من عبارة ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ ﴾(الاسراء: ٦)، بأن هذا يتضمن امتنان من الله تعالى ولا يمتن الله على المفسدين، والصحيح أن الامتنان يكون في معرض التذكير بالنعم والآية ليست في سياق التذكير بالنعم وإنما هي عرض لوعد في المستقبل، ثم إن عطاء الله ليس محصورا على الصالحين دون المفسدين ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾(الاسراء: ٢٠).

٣. يظن البعض بأن العلو الكبير ليس مرحلة بذاتها إنما هي وصف مرتبط بالإفساد في كلا المرتين، وهذا غير دقيق من حيث اللغة، فهما جملتان مختلفتان فصل بينهما بحرف العطف الواو، (لتفسدن في الأرض) و (لتعلن) فنحن أمام وعدين: وعد الإفساد ووعد العلو، ولأن لفظ (مرتين) مفعول مطلق مبين للعدد فقد صار وعد الإفساد وعدين: وعد أولاهما ووعد الاخرة، وبهذا نكون أمام ثلاثة وعود: وعد أولاهما ووعد الاخرة ووعد العلو، في ثلاث فترات لكل فترة زمنها وأحداثها، ولو كان حرف العطف بين الجملتين بـ (ثم) وليس بـ (الواو) لوجب أن تكون فترة العلو هي الفترة الأخيرة لأن لفظ (ثم) يقتضي الترتيب، ولكن العطف بالواو دقيق جدا فهي لا تقتضي الترتيب ولا تقتضي المصاحبة وبالتالي زال وجوب كون العلو هو المرحلة الأخيرة وزال وجوب المصاحبة بين الإفساد والعلو، ومع هذا يظل

(٩٠) سعيد حوى، الأساس في التفسير، المجلد السادس، دار السلام للطباعة، القاهرة، ١٤٢٤هـ، صفحة ٢٠٣٨.

الاحتمال قائما فكون الواو لا تقتضي الترتيب ولا المصاحبة لا يعني أنها لا تحتمله، ولكن هناك قرينتان أزالت هذا الاحتمال تماما:

القرينة الأولى: وصف إفساد المرة الأولى بوعد أولاهما ووصف إفساد المرة الثانية بوعد الاخرة فما بقي إلا أن يكون العلو مرحلة مستقله بينهما.

والقرينة الثانية: أن الأية ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ (الاسراء: ٤)، جاءت كمقدمة إجمالية لما قضاه الله ووعد به وهي تحتمل الترتيب وتحتمل عدمه و تحتمل المصاحبة وتحتمل عدمها، ولكن الآيات التي بعدها أزالت هذا الاحتمال تماما، فقد أعادت ترتيب الوعود الثلاثة وأشارت باستقلال كل فترة بوقائع وأحداث تخصها وكأنها شرح تفصيلي لتلك الآية، فأول أية بعدها تحدثت عن وعد أولاهما وهو وعد إفسادهم الأول المشار له في (لتفسدن) ثم جاءت الآية الثانية وتحدثت عن وعد العلو المشار له في (لتعلن) ثم الآية الثالثة تحدثت عن وعد الاخرة المشار له في (لتفسدن)، إن هذا الترتيب أزال كل احتمال ولبس أثاره حرف العطف الواو، وليس هذا فقط بل تحدثت تلك الآيات عن الأحداث والوقائع التي ستقع في كل وعد من الوعود الثلاثة، فلك أن تلاحظ أن ﴿ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ (الاسراء: ٦)، هي تحليل عميق ووصف دقيق لفترة العلو الكبير، حيث أشارت لكيفية وقوع علوهم وذلك برجوع الكرة لهم وقيام دولتهم وأشارت لمقومات علوهم وذلك بإمدادهم بالأموال والبنين وأشارت لعوامل بقاء علوهم وهو قدرتهم على التحشيد واستنفار العالم لدعمهم، فسبحانك ربي ما أدق وصفك وما أصدق وعدك.

٤. قد يلتبس على البعض مجيء الأفعال على صيغة الماضي عند الحديث عن وعد أولاهما وفي قوله تعالى: ﴿ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾ (الاسراء: ٦)، ولكن عند التأمل نجد أننا أمام هندسة لفظية عجيبة ومتطابقة مع ما يحدث تماما، لا يسع

المتأمل إلا أن يردد ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾(ال عمران: ٧)، إن التنقل بين الأزمنة من المضارع إلى الماضي كان لغرض بلاغي دقيق، ففي سياق الإخبار عن تلك النبوءة جاءت بلفظ المضارع (لتفسدن، ولتعلن) لأن المضارع يناسب الإخبار عن شيء سيحدث في المستقبل، ولام التوكيد ونون التوكيد حولت العبارة من كونها مجرد إخبار وإعلام إلى توكيد حتمية الوقوع وهذا متناسب مع لفظ (قضينا) الذي يشير بأن النبوءة مفروغ من وقوعها.

أما سياق الإخبار عن ماذا سيحدث في كل وعد من تلك الوعود فقد تحول الفعل من المضارع إلى الماضي، لأن عبارة (فإذا جاء وعد) تكفي السامع ليفهم أن الموضوع مستقبلي حتى ولو كان ما بعدها بصيغة الماضي، فأنت تقول مثلا: إذا جاء الغد شرحت لك الموضوع ثم فهمتك إياه، فالأفعال –شرحت وفهمتك– هي أفعال ماضيه إلا أن العبارة مفهومها مستقبلي بسبب ابتدائها بـ إذا جاء الغد، وقد يصح أيضا بصيغة المضارع فتقول: إذا جاء الغد سأشرح لك الموضوع ثم أفهمك إياه، لكن الفرق بينهما أن الأولى توحي بحتميه شرحك للموضوع وتفهيمك، والثانية فيها تسويف، ولهذا كان ما بعد (فإذا جاء وعد أولاهما) بلفظ الماضي (بعثنا، جاسوا، رددنا، أمددنا، جعلنا) أدق من لفظ المضارع لأنها تناسب حتمية الوقوع المشار إليه بلفظ (قضينا)، وليس هناك حاجة لتأتي بلفظ المضارع لأن عبارة (فإذا جاء وعد أولاهما) كافيه للسامع لكي يفهم أن وقوع تلك الأفعال هي في المستقبل حتى ولو كانت بلفظ الماضي، ومثلها في القران الكريم قوله تعالى (فإذا جاء وعد ربي جعله دكا) فلفظ جعل فعل ماضي لكنه في سياق الحديث عن المستقبل الذي دل عليه (فإذا جاء وعد ربي) ومجيئه بصيغة الماضي مناسب لحتمية الوقوع المشار لها بقوله (وكان وعد ربي حقا).

وأما في سياق وعد الآخرة تحول الفعل من الماضي للمضارع (ليسوؤوا، ليدخلوا، ليتبروا)، ومع أن عبارة (فإذا جاء وعد الآخرة) كافيه لفهم أن الأفعال بعدها للمستقبل حتي لو كانت بلفظ الماضي، لكن مجيئها بلفظ المضارع أضاف وصفا آخر للأحداث وهو الاستمرار فالإساءة ليست حدث في يوم وينتهي بل تستمر وهكذا باقي الأفعال، ثم إن اللام أفصحت عن معنى دقيق في النبوءة، فهي ليست لام توكيد ولا لام أمر، يقول ابن عاشور: «ولامات ليسوؤوا ، وليدخلوا ، وليتبروا للتعليل وليست للأمر لاتفاق القراءات المشهورة على كسر اللامين الثاني والثالث ، ولو كانا لامي أمر لكانا ساكنين بعد واو العطف، وفي لام ليسوؤوا قد قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص وأبو جعفر ليسوؤوا بضمير الجمع مثل ليدخلوا ليتبروا، فالضمائر راجعه إلى محذوف دل عليه لام التعليل»[٩١]، وهذا هو المعني البديع الذي أضافته اللام هنا، حيث أفادت لام التعليل أن إفسادهم الثاني هو العلة والسبب في إساءة وجوههم ودخول المسجد وتتبير علوهم، ولأن المفسرين الأوائل لم يستوعبوا أن يكون مجيء وعد الآخرة هو السبب في إساءة وجوههم فقد حاولوا تقدير محذوف يناسب لام التعليل فقالوا بوجود محذوف تقديره إذا جاء وعد الآخرة بعثنا عليكم عبادا لنا ليسوؤوا وجوهكم، ولأن هذا يناقض تفسيرهم بأن الذين جاسوا خلال الديار هم أمة غير الذين أساءوا وجوههم فقد قالوا بأن تقدير عبادا لنا ليست عائده إلى عبادا لنا المصرح بها في وعد أولاهما، ونحن قد نعذر الأولين في صعوبة استيعاب عقولهم في أن يكون مجيء وعد الآخرة هو سبب لإساءة وجوههم، ولكننا لا نجد عذرا لمن لا يزال يردد تلك الأقوال المتناقضة وهو يشاهد دقة وصف الآية للأحداث وكيف أن جريمة الإبادة الجماعية وإفسادهم هو سبب تشويه سمعتهم وإساءة وجوههم أمام العالم.

(٩١) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الجزء الخامس عشر، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، صفحة ٣٦.

٥. ويتساءل البعض كيف لنا أن نقول برأي مخالف لما هو معروف من أقوال المفسرين، والجواب هو أن الآيات تحكي نبوءة غيبية، ولأنه لم يصح عن رسول الله فيها شيء فيكون اعتماد المفسرين فقط على روايات تاريخية أو اجتهاد رأي ليس معصوما، والآيات التي تتحدث عن الغيب تكون معانيها أكثر وضوحا عند مجيء ذلك الغيب، فالكفار الذين يدخلون جهنم سيكونون أعلم بتفسير ذلك الغيب الذي حكاه الله، ليس لأنهم أكثر عبقرية من الصحابة ومن المفسرين ولكن لأنهم عايشوا ذلك الوعيد واقعا في حين أن أولئك وصلهم الغيب ألفاظا، والقران الكريم عطاؤه متجدد فهو كالوجود، وكما أن البشرية لا تستطيع أن تصل إلى لحظة تقول فيها بأنها وصلت إلى كشف كل كنه الكون بجميع أسراره وتفاصيله، فكذلك أيضا لا يمكن أن يكون جيل واحد قد وصل إلى كشف كل ما في القران، والنبي صلى الله علية وسلم يصف القران بأنه «لا تنقضي عجائبه»(٩٢).

٦. قد يظن البعض أن هذا يعطي الكسالى والبطالين مبررا ليتمنوا على الله الأماني ويتركوا العمل منتظرين للنبوءة أن تحقق أحلامهم، ولكننا نقول أن رسول هذه الأمه صلى الله علية وسلم لم تقعده وعود الله له بالنصر والتمكين عن العمل بمقتضى قانون الله وسنته في الخلق، وكذلك أصحابه رضي الله عنهم لم يقعدهم وعد الله لنبيه بالتأييد والنصر بل قاموا بتأييده بأنفسهم ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (الانفال: ٦٢)، فالنبوءة هي رؤية وصورة مستقبلية إذا أشبعت بالإيمان والسعي تتحول إلى واقع، فهي مولدة للأمل وقوة دافعه للعمل وليس العكس، «إن لدينا نحن المسلمين من المبشرات الدينية والدنيوية ما يملؤنا ثقة بالمستقبل ويقينا بغد أفضل، ولا يعني ذلك أن ننام ونتكل على هذه المبشرات بل يجب أن تحفزنا إلى العمل الدؤوب المبنى على العلم والتخطيط حتى نحول تلك

(٩٢) اخرجه الترمذي في السنن، ١٧٢/٥، رقم (٢٩٠٦) .

الأحلام إلى حقائق والأمل إلى واقع »[٩٣]، ثم إن وعد الله يتحقق بعباد الله وجنوده ﴿ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ﴾ (محمد: ٤)، وقد كان المسلمون هم النبوءة وهم الوعد في كلا المرتين، فهم الذين جاسوا خلال الديار وهم الذين أساؤوا وجوهم وهم الذين سيدخلون المسجد وهم الذين سينهون علوهم، فلماذا ينتظرون للنبوءة أن تحقق لهم ذلك وهم النبوءة ذاتها، ولماذا ينتظرون وعد الله حتى يتحقق وهم جند الله الذي يتحقق به وعده.

رابعا: موقع أحداث بنى إسرائيل من النموذج الذي بنيناه لدورة حياة أمة محمد ﷺ

لمعرفة أين موقع تلك المراحل التي مر بها بنو إسرائيل بالنسبة للنموذج الذي بنيناه لدورة حياة أمة محمد صلى الله علية وسلم، يجب أن نعرف بأن أمة محمد ﷺ قد مرت بدورتين مكتملة وهي الان في بداية دورتها الثالثة، وكل دورة مكتملة تمر بثمان مراحل، والجدول التالي رقم (٢) يوضح كل مرحلة من مراحل بني إسرائيل أين هي من دورة حياة أمة الإسلام، وكل واقعه من حياة بني إسرائيل أين هي من مراحل دورة حياة أمة الإسلام:

(٩٣) يوسف القرضاوي، أمتنا بين قرنين، دار الشروق، القاهرة، ١٩٦٨م، صفحة ١٢.

جدول رقم (١) يوضح موقع بنى إسرائيل من دورة حياة أمة محمد صلى الله عليه وسلم

أمة بني إسرائيل	أمة محمد صلى الله علية وسلم
المرحلة الأولى **وعد أولاهما بوقائعها وأحداثها**	**في الدورة الأولى** **من حياة أمة الإسلام أثناء وجود نبيها صلى الله علية وسلم**
وقوع إفسادهم الأول	المرحلة الأولى : اللاوجود قبل البعثة وامتدت حتى المرحلة الثانية : البعثة
بعثة محمد وأصحابه	المرحلة الثانية : البعثة والمرحلة الثالثة: التمايز والتكون
اخراجهم من ديارهم	المرحلة الرابعة: الاستقلال
المرحلة الوسطى **العلو الكبير بوقائعها وأحداثها**	**في الدورة الثالثة** **من حياة أمة الإسلام**، بعد سقوط الخلافة العثمانية
عودة الكرة لهم وتكوين دولتهم	المرحلة الأولى : اللاوجود أو الانهيار
إمدادهم بالأموال والبنين	المرحلة الأولى : اللاوجود واستمر حتى المرحلة الثانية : البعثة والصحوة
زيادة قدرتهم على الاستنفار والتحشيد	المرحلة الأولى: اللاوجود واستمر حتى المرحلة الثانية: البعثة والثالثة: التكون والظهور
المرحلة الاخيرة **وعد الاخرة بأحداثها ووقائعها**	**في الدورة الثالثة** **من حياة أمة الإسلام**
وقوع إفساد للمرة الثانية	المرحلة الثالثة مرحلة التمايز والتكون
إساءة سمعتهم وتشوه وجوههم	المرحلة الثالثة وتحديدا بعد السابع من أكتوبر ٢٠٢٤م.
دخول المسلمين المسجد الأقصى	سيحدث بعون الله عندما تكون الأمة في المرحلة الرابعة: الاستقلال
انهيار علوهم	سيحدث بعون الله عندما تكون الأمة في المرحلة الخامسة: التمكين

نلاحظ من خلال الجدول أن وعد أولاهما بأحداثها ووقائعها حدثت عندما كانت أمة الإسلام في دورتها الأولى بوجود نبيها ﷺ، والعلو الكبير لبنى إسرائيل بأحداثها ووقائعها حدثت عندما كانت أمة الإسلام في بداية الدورة الثالثة، أما وعد الاخرة بأحداثها ووقائعها فحدثت وستحدث في الدورة الثالثة لحياة هذه الأمة، حيث حدثت بالفعل بعض وقائعها وستحدث باقي الوقائع في نفس الدورة الثالثة عندما تكون الأمة مؤهلة لتنتقل من وضعها الحالي إلى وضع تكون فيه في مرحلة الاستقلال والتمكين، وبهذا تكون بنو إسرائيل التقت

مع أمة محمد ﷺ في دورة حياتها الأولى وفي دورة حياتها الثالثة، أما توصيف أمة بنى إسرائيل في هذه الفترات فقد كانت جزءا من الأمة الجاهلية في كلا الدورتين، ففي الدورة الأولى في عهد النبوة كانوا جزءا من أمة العرب التي وقفت في مقابل الأمة الإسلامية، وهم الان في الدورة الثالثة جزءا من الأمة الجاهلية المعاصرة في مقابل الأمة الإسلامية.

المبحث الخامس

موقع نبوءة حديث الخلافة من النموذج الذي بيناها لدورة حياة أمة محمد ﷺ

أولا: نص النبوءة

عن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تكونُ النُّبُوَّةُ فيكم ما شاء اللهُ أن تكونَ، ثم يَرْفَعُها اللهُ تعالى، ثم تكونُ خلافةٌ على مِنهاجِ النُّبُوَّةِ ما شاء اللهُ أن تكونَ، ثم يَرْفَعُها اللهُ تعالى، ثم تكونُ مُلْكًا عاضًّا، فتكونُ ما شاء اللهُ أن تكونَ، ثم يَرْفَعُها اللهُ تعالى، ثم تكونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً فيكونُ ما شاء اللهُ أن يكونَ، ثم يَرْفَعُها اللهُ تعالى، ثم تكونُ خلافةً على مِنهاجِ النُبُوَّةِ، ثم سكت»(٩٤)، وفي رواية لحذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنتم في نبوة ورحمة، وستكون خلافة ورحمة، وتكون ملكا عضوضا»(٩٥).

ثانيا: شرح النبوءة

الشرح التقليدي لألفاظ الحديث حجب المعنى الحقيقي للنبوءة، حتى سعى البعض لتضعيفه بحجة أنه يشوه تاريخ المسلمين، مع أن المنهج العلمي في التصحيح والتضعيف لا يعطي اعتبارا للجانب العاطفي، ولو سلك الناس هذا المسلك لكانوا كالذين يرفضون بعض نصوص الوحي التي استصعبتها فهومهم بحجة تعارضها مع العقل، ولسوف تدرك أيها

(٩٤) أخرجه أحمد في المسند: ج ٤، ص ٢٧٣، وهو حديث صحيح.
(٩٥) أخرجه الطبراني في الأوسط من طريق ابن أبي شيبة واللفظ له ٦٥٨١، وابنُ الأعرابي في المعجم من طريق زيد بن الحباب بنحوه ١٦٤٥، وسنده صحيح.

القارئ العزيز بعد أن تتضح لك معاني ألفاظ هذا الحديث بشكل صحيح كيف أنها نبوءة عجيبة تقدم وصفًا موضوعيًا للتاريخ السياسي الإسلامي التي مرت به هذه الأمة.

عند البحث عن شرح لهذا الحديث في مراجع التراث الإسلامي تجدهم يفسرون (ملكا عاضا) بأن الرعية تصاب بعسف وظلم، و(ملكا جبريا) بأنه جبروت وتسلط، وللأسف أغلب الشروح للحديث لم تتجاوز هذه المعاني.

ولكي نفهم الحديث بالشكل الصحيح، يجب أن نعرف بأن الحديث وارد في سياق سياسي، وألفاظه تصف نوع نظام الحكم، وبالتالي فهي لا تتناول تقييم الحكام وسلوكهم الأخلاقي ولا تصف التدين العام للأمة، بل تصف بالتحديد **آلية انتقال الحكم** و**شرعية تلك الألية**.

ولتوضيح ذلك أكثر، نحن أمام خمسة أوصاف تصف خمس فترات تمر بها أمة الإسلام:

١. (نبوة) (ورحمة)
٢. (خلافة) (على منهاج النبوة)
٣. (ملكا) (عاضا)
٤. (ملكا) (جبريا)
٥. (خلافة) (على منهاج النبوة)

وعند التدقيق في هذه الأوصاف نرى بأن كل وصف يحتوي على جزئيين، الجزء الأول من كل عبارة هي: (نبوة، خلافة، ملك، ملك، خلافة) هذه الأوصاف تصف شيئا موحدا في كل الفترات، والجزء الثاني من كل عبارة هي: (رحمة، على منهاج النبوة، عاضا، جبريا، على منهاج النبوة) وهذه أيضا تصف شيئا موحدا في كل الفترات، وبالتالي فكل جزء يصف موضوع معين كالتالي:

الجزء الأول: يصف **ألية انتقال الحكم**، فهو متعلق بطريقة انتقال الحكم، فقد ينتقل الحكم للحاكم عبر ثلاث أليات أو ثلاث طرق:

١. اصطفاء من الله ويصدق عليه لفظ (نبوة)، وهذا خاص بالأنبياء.
٢. وقد يخلف أحدهما الأخر عن طريق الشورى وتوافق أهل الحل والعقد ويناسبه لفظ (الخلافة).
٣. وعن طريق التوريث وهو التمليك بالقرابة ويناسبه لفظ (الملك).

الجزء الثاني: يصف **شرعية تلك الألية**، بمعنى أخر على ماذا يستند الناس في استخدامهم للتوريث أو الشورى عند نقل الحكم، فهذا الجزء متعلق بالعامل الضامن لاستخدام تلك الألية وتلك الطريقة، فإما أن تكون شرعيتها اتباع منهاج النبوة فهذه يصدق عليها (على منهاج النبوة)، أو تكون شرعيتها العصبية وهذه يصدق عليها (عاضا)، أو تكون شرعيتها المؤسسات الضاغطة وهذه يصدق عليها (جبريا).

١. فالنبوة كانت رحمه من الله ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الانبياء: ١٠٧)، وكان العامل في تجميع الناس حولها هو رحمته عليه الصلاة والسلام وعفوه واستخدامه الشورى ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡ ﴾ (ال عمران: ١٥٩).
٢. والخلافة كانت بالشورى وتوافق أهل الحل والعقد، وعامل استخدامها هو اتباع منهج النبوة ويناسبه لفظ (على منهاج النبوة).
٣. والملك كان بالتوريث، والعامل الضامن لاستخدام هذه الألية إما بتمسك مجموعة كالأسنان في تماسك عصبيتهم، سواء كانت (قبلية كما عند الأمويين أو عصبية نسب كما عند العباسيين)، وهذا يناسبه لفظ (عاضا) أو تكون بإلزام الناس بالتوريث عن طريق مؤسسة الجيش وهذا يناسبه لفظ (جبريا).

والجدول رقم (٣) يفكك الألفاظ ويربطها بالجزء الذي تنتمي إلية

جدول رقم (٢) يوضح معاني ألفاظ حديث الخلافة

الوصف النبوي	شرح الوصف النبوي	
	الجزء الأول **يصف ألية انتقال الحكم**	**الجزء الثاني** **يصف شرعية تلك الألية التي انتقل الحكم بها**
نبوة **ورحمة**	**(نبوة)** اصطفاء من الله، وهذا خاص بالأنبياء	**(رحمة)** رحمة من الله بعباده (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)
خلافة **على منهاج النبوة**	**(خلافة)** الاختيار الحر من أهل الحل والعقد والبيعة	**(على منهاج النبوة)** شرعية دستورية باتباع منهاج النبوة
ملكا **عاضا**	**(ملك)** تمليك الحكم بالوراثة	**(عاضا)** مجموعة كالأسنان في تماسك عصبيتهم، سواء كانت (قبلية كما عند الأمويين أو عصبية نسب كما عند العباسيين)
ملكا **جبريا**	**(ملك)** تمليك الحكم بالوراثة	**(جبريا)** الزام الناس بالتوريث عن طريق المؤسسات الضاغطة (الإنكشارية، الجيش)
خلافة **على منهاج النبوة**	**(خلافة)** الاختيار الحر من أهل الحل والعقد والبيعة	**(على منهاج النبوة)** شرعية دستورية باتباع منهاج النبوة

وعلى هذا يكون المعنى الصحيح لألفاظ الحديث كالتالي:

١. نبوة ورحمة: أن النبوة نالها النبي صلى الله علية وسلم كاصطفاء خاص من الله، وشرعية هذه الألية هو رحمة الله بعباده ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الانبياء: ١٠٧)، مع استسلام وطاعة لله ولرسوله تمنع العصيان والنزاع.

٢. خلافة على منهاج النبوة: وهو أن يخلف الحاكم لمن سبقه عن طريق اجماع أهل الحل والعقد وبيعة المسلمين، وشرعية هذه الألية هو اتباع منهاج النبوة، مع وعي جماهيري بالمبدأ يمنع حدوث النزاع.

٣. الملك العاض: هو انتقال الحكم بالتوريث، وشرعية ذلك التوريث هو التمسك بالحكم داخل العائلة عبر العصبية والقرابة، مع ولاء يمنع خروج الحكم من العصبة.

٤. الملك الجبري: هو انتقال الحكم بالتوريث وشرعية ذلك التوريث هو مؤسسات ضاغطه (الإنكشارية، الجيش)، مع قوانين سلطانية صارمة لمنع النزاع.

هذا التفسير يتجاوز الشرح الوعظي للحديث النبوي ويجعل النبوءة دقيقة في وصفها لأنظمة الحكم ومراحل تطوره في تاريخ الأمة الإسلامية التي مرت به، وبالتالي لا يعني أن فترة الخلافة ليس فيها رحمة، ولا أن الأمة في فترة الملك العاض والجبري ليست على منهاج النبوة ولا حتى الحاكم كذلك لأن الذي ليس على منهاج النبوة هو فقط ألية الاختيار وطريقة انتقال الحكم، ولا كما يزعم البعض بأنها في فترة الملك الجبري تحت جبروت، فهذه كلها أوهام وسوء فهم بسبب عدم إدراك الموصوف من يكون بالتحديد.

ثالثا: موقع النبوءة من النموذج الذي بنيناه لدورة حياة أمة محمد ﷺ

النص النبوي لا يعدد المراحل التي تمر بها أمة محمد صلى الله علية وسلم كوصف لدورة حياة تبدأ من الضعف ثم القوة ثم الضعف والشيخوخة، ولكنه وصفا لنوع نظام الحكم عندما تكون الأمة في مرحلتها الخامسة مرحلة التمكين، ولهذا فالنص النبوي ليس تسلسلا للمراحل التي ستمر بها هذه الأمة، لأن لفظ (الخلافة) و(الملك) لا ينطبق على وضع تكون فيه الأمة مغيبة عن الحياة كمرحلة الانهيار والضعف، ولا ينطبق على مرحلة لا تزال فيها الأمة في مرحلة البعث والصحوة، ولا على مرحلة لا تزال فيها الأمة في مرحلة الظهور والتكون، وانما هو وصف لمرحلة التمكين والقوة، ولهذا نحن لا نتفق مع الذين فسروا الملك الجبري بالمرحلة التي تمر بها الأمة الإسلامية اليوم، وذلك لأنها ليست في مرحلة التمكين، فالحديث يشير بأن هذه الأمة ستمر عليها مرحلة التمكين والقوة خمس مرات في تاريخها الطويل، ولا يعني أن تلك الفترات متتالية، إذ قد يفصل بينهما مراحل ضعف، وأحيانا قد تمر الأمة بنصف الدورة من اللاوجود وحتى الوصول للتمكين، ويؤيد هذا الفهم حديثا اخر لابن عباس يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «أوَّلُ هذا الأمرِ نُبوَّةٌ ورحمةٌ، ثمَّ يكونُ خلافةً ورحمةً، ثمَّ يكونُ مُلكًا ورحمةً، ثمَّ يتكادمون عليه تكادُمَ الحُمُرِ، فعليكم

بالجِهادِ، وإنَّ أفضلَ جهادِكم الرِّباطُ، وإنَّ أفضلَ رباطِكم عَسْقلانُ»[٩٦]، فهذا الحديث أضاف لنا مرحلة جديدة ليست من مراحل التمكين عبر عنها بتكادم الحمر، فالنبوة والرحمة كانت في عصر النبوة ومرت الأمة فيها بمرحلة تمكين، والخلافة والرحمة كانت في عصر الخلفاء الراشدين ومرت الأمة فيها بمرحلة تمكين، والملك والرحمة كانت في ثلاثة عصور هي (العصر الأموي، والعصر العباسي، والعصر العثماني) ومرت الأمة فيها بمراحل تمكين، والإضافة التي جاءت بها رواية ابن عباس في قوله (ثم يتكادمون عليها تكادم الحمر)هي التي تنطبق على الوضع التي تمر به أمتنا الإسلامية اليوم، والعجيب أنه وصف المرحلة ووضع متطلباتها (فعليكم بالجهاد وأفضل الجهاد هو الرباط، وأفضل الرباط في عسقلان)، والحديث أيضا واضح في إبطال من يزعم أن لفظ العاض والجبري يُعتبر مسار انحراف في تاريخ الأمة، وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام جعل النبوة والخلافة والملك كلها رحمة، والجدول التالي رقم (٤) يوضح موقع هذه النبوءة من النظرية التي بنيناها كنموذج لدورة حياة أمة الإسلام.

جدول رقم (٣) يوضح موقع نبوءة حديث الخلافة من دورة حياة أمة محمد ﷺ

الوصف النبوي	التاريخ الذي ينطبق علية الوصف	دورة الحياة	المرحلة
نبوة ورحمة	دولة المدينة وحتى وفاته عليه الصلاة والسلام	الدورة الأولى	أربع مراحل من مرحلة البعثة حتى مرحلة التمكين
خلافة على منهاج النبوة	الخلافة الراشدة	الدورة الأولى	المرحلة الخامسة (التمكين)
ملكا عاضا	الخلافة الأموية والخلافة العباسية	الدورة الأولى	المرحلة الخامسة (التمكين)
ملكا جبريا	الخلافة العثمانية	الدورة الثانية	المرحلة الخامسة (التمكين)
يتكادمون عليها تكادم الحمر	من بعد سقوط الخلافة العثمانية	الدورة الثالثة	المرحلة الأولى والثانية والثالثة (اللاوجود، والبعث، والظهور)
خلافة على منهاج النبوة	نبوءة مستقبلية لم تقع بعد	الدورة الثالثة	المرحلة الرابعة والخامسة (الاستقلال، والتمكين)

(٩٦) أخرجه الطبراني (٨٨/١١) (١١١٣٨)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة الصفحة برقم: ٣٢٧٠.

ومن هذا المنظور يقدم الحديث النبوي الشريف نبوءة دقيقة لمسار نظام الحكم في التاريخ الإسلامي كوصف للحاضر الذي كانوا عليه، فقد كان ذلك الحاضر نبوة ورحمة، ثم كاستشراف نبوي لثلاث فترات لاحقة كانت غيبا في وقته ولكننا اليوم نراها متحققة كأصدق تحليل تاريخي للنظام السياسي في تلك الفترات، فالخلافة الراشدة جسدت النموذج المثالي للشورى، ثم جاءت أنظمة ملكية حافظت على وحدة الأمة ودينها عبر عصبية القبيلة كما حدث في العصر الأموي أو عبر عصبية النسب كما حدث في العصر العباسي أو عبر المؤسسات الضاغطة كما حدث في العصر العثماني، ثم كاستشراف نبوي لمرحلة لم تقع حتى الان فلا تزال مجرد نبوءة مستقبلية ملامحها شوروية دستورية، فمن صدقت نبوءته في أربع فترات ماضية بما نسبته ٨٠٪ فسيصدكم حتما في هذه الفترة، ولكي تصل الأمة لهذه الفترة لديها مراحل يجب أن تقطعها وتضاعف همتها، فلها في منهاج النبوة أسوة حسنة، فيجب أن تكون الدورة الأولى من حياة هذه الأمة أثناء حياة نبيها عليه الصلاة والسلام المثل والنموذج لأبناء هذه الأمة في دورتها الثالثة، «فعليكم بسُنَّتي وسُنَّةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدينَ المهْدِيِّينَ، عَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ» (٩٧).

(٩٧) رواه الترمذي وصححه في كتاب الجامع الكبير، أبواب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، رقم الحديث (٢٨٧٠)، المجلد ٤، دار الرسالة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩، صفحة ٦١٢.

قائمة المحتويات

المحتويات والمواضيع	الصفحة
مقدمة	٥
الفصل الأول: الإطار النظري للدراسة	٧
المبحث الأول: مصطلحات الدراسة	٨
أولا: مفهوم دورة الحياة	٨
ثانيا: مفهوم الأمة	٨
ثالثا: مفهوم النموذج	١١
رابعا: مفهوم المرحلة	١٢
المبحث الثاني: الدراسات والنظريات السابقة	١٢
أولا: الدراسات والنظريات السابقة	١٢
ثانيا: تحليل الدراسات والنظريات السابقة	٢٧
ثالثا: الفجوة التي تغطيها هذه الدراسة وأهم ما تتميز به	٢٨
الفصل الثاني: نموذج دورة حياة أمة محمد ﷺ	٣٠
المبحث الأول: التعريف والشرح والأبعاد والمنحنى	٣١
أولا: تعريف نموذج دورة حياة أمة محمد ﷺ	٣١
ثانيا: شرح نموذج دورة حياة أمة ﷺ	٣٢
ثالثا: أبعاد نموذج دورة حياة أمة محمد ﷺ	٣٥
رابعا: منحنى نموذج دورة حياة أمة محمد ﷺ	٣٧
المبحث الثاني: مراحل دورة حياة أمة محمد ﷺ	٤٠
أولا: مرحلة اللاوجود	٤٠
ثانيا: مرحلة البعث	٤٢
ثالثا: مرحلة الظهور والتكوّن	٤٢
رابعا: مرحلة الاستقلال وبناء الدولة	٤٤
خامسا: مرحلة التمكين	٤٤
سادسا: مرحلة الانحسار	٤٦
سابعا: مرحلة التفكك	٤٦

المحتويات والمواضيع	الصفحة
ثامنا: مرحلة الانشقاق	٤٧
المبحث الثالث: خصائص كل مرحلة ومتطلباتها	٥١
أولا: خصائص ومتطلبات مرحلة اللاوجود	٥١
ثانيا: خصائص ومتطلبات مرحلة البعث	٥١
ثالثا: خصائص ومتطلبات مرحلة الظهور والتكون	٥٣
رابعا: خصائص ومتطلبات مرحلة الاستقلال	٥٤
خامسا: خصائص ومتطلبات مرحلة التمكين	٥٥
سادسا: خصائص ومتطلبات مرحلة الانحسار	٥٧
سابعا: خصائص ومتطلبات مرحلة التفكك	٥٨
ثامنا: خصائص ومتطلبات مرحلة الانقسام	٥٩
المبحث الرابع: براهين إثبات نموذج دورة حياة أمة محمد ﷺ	٦٠
أولا: الاستدلال من القران الكريم	٦٠
ثانيا: برهان القياس البنيوي	٦٨
ثالثا: برهان استخدام المناهج العلمية	٧٠
رابعا: برهان البناء على النظريات السابقة	٧٨
المبحث الخامس: خيارات ومسارات مراحل الدورة	٨٣
الفصل الثالث: استخدام النموذج في وصف الماضي وتحليل الحاضر واستشراف المستقبل	٨٦
المبحث الأول: أين كنا؟	٨٩
أولا: العصر الجاهلي وعصر النبوة	٨٩
ثانيا: عصر الخلفاء الراشدين	٩٢
ثالثا: العصر الأموي	٩٤
رابعا: العصر العباسي	٩٤
خامسا: العصر العثماني	٩٨
المبحث الثاني: أين نحن؟	١٠١
المبحث الثالث: أين سنكون؟	١٠٤
المبحث الرابع: موقع أمة بنى إسرائيل من نموذج دورة حياة أمة محمد ﷺ	١١٢

المحتويات والمواضيع	الصفحة
أولا: نبوءة سورة الاسراء	١١٢
ثانيا: ما يدل على أن النبوءة تتحدث عن بنى إسرائيل مع أمة محمد ﷺ	١١٦
ثالثا: أسباب اللبس في فهم النبوءة وإزالته بالتوضيح	١٢٠
رابعا: موقع أحداث النبوءة من النموذج الذي بنيناه لدورة حياة أمة ﷺ	١٢٦
المبحث الخامس: موقع نبوءة حديث الخلافة من نموذج دورة حياة أمة ﷺ	١٢٨
أولا: نص النبوءة	١٢٨
ثانيا: شرح النبوءة	١٢٨
ثالثا: موقع النبوءة من النموذج الذي بنيناه لدورة حياة أمة ﷺ	١٣٢
قائمة المحتويات	١٣٥
المراجع والمصادر	١٣٨
الملاحق	١٤٣
ملحق رقم (١) تحليل للنظريات والدراسات السابقة بحسب الأبعاد التسعة	١٤٤

قائمة المراجع والمصادر

المراجع باللغة العربية:

١. أبعاد فلسفة التاريخ عند جامباتيستا فيكو، شريف بن زينب، مجلة مقاربات فلسفية، المجلد ٨، العدد ١، عام ٢٠٢١م.

٢. الأساس في التفسير، سعيد حوى، المجلد السادس، دار السلام للطباعة، القاهرة، ١٤٢٤هـ.

٣. إلى الإسلام من جديد، أبو الحسن الندوي، دار القلم للنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الرابعة، ١٩٧٩م.

٤. الأمة الإسلامية حقيقة لا وهم، يوسف القرضاوي، كتاب محمل على موقع الشيخ يوسف القرضاوي.

٥. أمتنا بين قرنين، يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

٦. البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق عبد الله بن المحسن التركي، دار هجرة للطباعة والنشر، المجلد ٨، الطبعة الأولى، ١٤١٧م.

٧. بيت المقدس وأسس المعركة القادمة مع اليهود، انظر رأفت المصري، دار الفاروق، ٢٠١٦م.

٨. التاريخ الإسلامي الوجيز، محمد سهيل طقوش، دار النفائس، بيروت لبنان، الطبعة الخامسة، ٢٠١١م.

٩. تأويلات أهل السنة، محمد أبو منصور الماتريدي، الجزء الثاني، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الثانية،٢٠٠٥م.

١٠. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الجزء الخامس عشر، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

١١. تفسير القران العظيم، ابن كثير، المجلد ١، سورة البقرة، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٨.

١٢. توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها وأثر ذلك على التفسير، دراسة تطبيقية على تفسير الدر المصون للسمين الحلبي، حامد المجرب وحسين الشمري، مجلة حولية كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، العدد ٣٧، المجلد، الثاني، ٢٠٢٣م.

١٣. الجامع لأحكام القران، محمد احمد القرطبي، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، الطبعة الثانية، المجلد ١٦، دار الكتب المصرية، القاهرة.

١٤. حاجة البشرية إلى الرسالة الحضارية لأمتنا، يوسف القرضاوي، ضمن سلسلة رسائل ترشيد الصحوة العدد ١١، الناشر مكتبة وهبة، ٢٠٠٠م.

١٥. الحضارة الإسلامية أسباب الانحطاط والحاجة إلى الإصلاح، حمد شابر، ترجمة محمد السمهوري، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.
١٦. الدولة العثمانية النشأة والانهيار، محمد السيد محمود، الناشر مكتبة الأدب، القاهرة، عام ٢٠٠٧م.
١٧. زاد المعاد، ابن القيم الجوزية، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.
١٨. سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، برقم ٤٥، مجلد ١، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف،١٩٩٥م.
١٩. شرح صحيح مسلم، النووي، الجزء ١٨، دار الخير، ١٩٩٦.
٢٠. شروط النهضة، مالك بن نبي، ترجمة عبدا لصبور شاهين، بإشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر للطباعة والتوزيع، سوريا دمشق، ١٩٨٦.
٢١. فتح البيان في مقاصد القران، محمد صديق القنوجي، المكتبة العصرية للطباعة ، المجلد ١٣، بيروت، ١٩٩٢م.
٢٢. فتح القدير، محمد علي الشوكاني، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، المجلد ٥، ١٤١٤هـ.
٢٣. فقه السيرة النبوية، منير الغضبان، الطبعة الثانية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية،١٩٩٢م.
٢٤. القصص القراني، صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
٢٥. علل وأدوية دراسات في أمراض أمتنا ووسائل الاستشفاء، محمد الغزالي، دار الدعوة، الإسكندرية، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٢م.
٢٦. مجلّة (الأزهر) الغرّاء، الجزء السادس، عدد غرة جُمادى الآخرة ١٣٧٦هـ – ٢ يناير ١٩٥٧م، المجلد ٢٨.
٢٧. محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، الجزء الثالث، سورة البقرة، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
٢٨. مستقبل الصراع على الأرض المقدسة، محمد سعيد حوى، دار الرازي، عمان، ٢٠٠٥م.
٢٩. معالم في الطريق، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، الطبعة السادسة، ١٩٧٩م.
٣٠. مفردات القران، الراغب الاصفهاني، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، بتحقيق عدنان صفوان.
٣١. مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، دار ومكتبة الهلال بيروت، الطبعة الأخيرة، ٢٠٠٠.
٣٢. مقدمة قصيرة في التاريخ الإسلامي، ادم جيه سيلفرستاين، ترجمة إيناس المغربي، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠١٧م.

٣٣. نظرية الحضارة في فلسفة شبنجلر، جمال بروال، مجلة دفاتر الخير، المجلد ١٧، العدد ١، عام ٢٠٢٢م.

٣٤. نموذج جودة الخدمة، مدحت أبو النصر، مجلة القاهرة للخدمة الاجتماعية، عدد ٣٠، عام ٢٠١٨م.

٣٥. وعود القران بالتمكين، صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٣م.

المراجع باللغة الإنجليزية:

٣٦. Alfred Skorupka, Reflections around the theory of Western civilization, by Carroll Quigley, DOI: ١٠,٥٦٠٤/٠١,٣٠٠١,٠٠١٢,٧٦٠٢

٣٧. by Pitirim A. Sorokin *Social and Cultural Dynamics* (revised and abridged in one volume by the author, Transaction Books: New Brunswick, ١٩٥٧, ١٩٨٥; originally published in four volumes, I-III, ١٩٣٧; IV, ١٩٤١).

٣٨. Murat Onder & Fatih Ulasan, Ibn Khaldun's Cyclical Theory on the Rise and Fall of Sovereign Powers The Case of Ottoman Empire, December ٢٠١٨, DOI: ١٠,٣١٦٧٩/adamakademi.٤٥٣٩٤٤٠.

٣٩. Peter Heather and John Rapley, Why Empires Fall America, and the Future of the West, ٣١ December ٢٠٢٣, DOI: https://doi.org/١٠,١٢٩٨٧/٩٧٨٠٣٠٠٢٧٥٣٨٤.

٤٠. Targowski, Andrew (٢٠٠٤) "A Grand Model of Civilization," Comparative Civilizations Review: Vol. ٥١ : No. ٥١ , Article ٧.

٤١. Targowski, Andrew (٢٠٠٤) "A Grand Model of Civilization," Comparative Civilizations Review: Vol. ٥١ : No. ٥١ , Article ٧.

المواقع الإلكترونية باللغة العربية:

٤٢. اواصر للثقافة والفكر والحوار، روما وأمريكا ومستقبل الغرب: لماذا تسقط الإمبراطوريات؟، المحرر، ٢٤ فبراير ٢٠٢٤م، رابط: https://www.awaser.net/.

٤٣. ايلاف، لماذا تسقط الامبراطوريات؟، فواز بن حمد الفواز، ٢٨ نوفمبر ٢٠٢٣، رابط: https://elaph.com/Web/NewsPapers/

٤٤. جريدة الامه، مقال بعنوان نظرية أرنولد توينبي لا تصلح، محمد جلال القصاص، بتاريخ: ١٣ يونيو ٢٠٢٤، رابط: https://alomah.net//.

٤٥. جريدة الوطن المصرية، بعنوان وزير الدفاع الباكستاني حان وقت تشكيل «ناتو إسلامي»، خالد عبد الحميد، بتاريخ: الخميس ١٨ سبتمبر ٢٠٢٥م، رابط: https://elwatanelmasry.com/?p=٢٤٠٣٣٤.

٤٦. الجزيرة نت، متى ستحل جماعة الإخوان نفسها في سوريا، أحمد موفق زيدان، ٢٢ أغسطس ٢٠٢٥م، رابط: https://www.aljazeera.net/opinions/٢٠٢٥/٨/٢٢/

٤٧. الجزيرة نت، مؤتمر "غزة مسؤولية إسلامية وإنسانية" في إسطنبول ينطلق بنداء نصرة القطاع، تاريخ ٢٠٢٥/٨/٢٢، رابط: https://www.aljazeera.net/politics/٢٠٢٥/٨/٢٢/مؤتمر-غزة-مسؤولية-إسلامية-وإنسانية .

٤٨. طارق السويدان، اسباب انحدار الحضارة الإسلامية، طارق السويدان، ١١مارس ٢٠٢٢م، رابط: https://suwaidan.com//.

٤٩. فيس بك، صفحة طارق السويدان، بتاريخ ٢٠٢٥/٩/١٠م، رابط: https://www.facebook.com/share/p/١BcDGts٨w٣/

٥٠. فيس بك، صفحة فضل مراد، فتوى وجود انشاء تحالف إسلامي، نشر بتاريخ ٢٠٢٥/٩/١٠، والفتوى مؤرخه بتاريخ ٢٠٢٥/٧/٢٩، رابط : https://www.facebook.com/share/p/١FbHktmuHH/

٥١. كلمة مليار، مقال بعنوان: فلسفة التاريخ عند أرنولد توينبي، بيتريم سوروكن، ترجمة: عارف فضل، بتاريخ: ٢٢ سبتمبر ٢٠٢٥، رابط: https://miliar.org/word-pedia/٣٤١٥٥/

٥٢. مجلة البيان، عن صعود وسقوط الامبراطوريات، محمد الخولي، ٢٥ مايو ٢٠٠٥م، رابط: https://www.albayan.ae/opinions

٥٣. مجلة المجتمع ، مشروع النهوض الإسلامي وتحولات النظام الدولي، عاطف الجولاني، ١٦ مارس ٢٠٢٤م، رابط المقال: https://mugtama.com/articles/ .

٥٤. مجلة المجتمع ، مشروع النهوض الإسلامي وتحولات النظام الدولي، عاطف الجولاني، ١٦ مارس ٢٠٢٤م، بتصرف، رابط المقال: https://mugtama.com/articles/ .

٥٥. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، جمهورية مصر، ٢٠٢٥م، رابط: https://www.arabicacademy.gov.eg/ar/.

٥٦. معجم الرياض للغة العربية المعاصرة، تطبيق إلكتروني رقم الإصدار ٢,٠، الحقوق محفوظة مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية، ٢٠٢٣، رابط: https://dictionary.ksaa.gov.sa/result/ /

٥٧. معهد الشرق الأوسط، الولايات المتحدة والصين في الشرق الأوسط: ثلاثة سيناريوهات حتى ٢٠٢٥م، ستيفن كيني وبارين كايا أوغلو، تاريخ: ٣٠ أبريل ٢٠٢٤م، رابط: https://arabic.mei.edu/arabic/ .

٥٨. منصة اكس ، حساب وضاح خنفر، تاريخ ٢٠٢٥/٩/١٠، رابط: https://x.com/khanfarw/status/١٩٦٥٥٢١١٢٥٧٠٣٩٠٩٤٩٣?t=Xdssko٦CVxtxcnRaNGSWog&s=١٩

٥٩. موقع عربي، تعاون صيني روسي لبناء نظام عالمي أكثر عدلا، لندن عربي، ٤ سبتمبر ٢٠٢٥م، https://arabi٢١.com/story/١٧٠٤٧٩٣/

٦٠. هيئة علماء فلسطين، امة الاسلام بين الصعود والهبوط، راغب السرجاني، ٢٤/ مارس / ٢٠٢٥، رابط: https://palscholars.org/ .

٦١. وكالة رويترز، بعنوان: Turkey's Erdogan calls for Islamic alliance against Israel، بتاريخ ٧ سبتمبر ٢٠٢٤، رابط: https://www.reuters.com/world/middle-east/turkeys-erdogan-calls-islamic-alliance-against-israel-٢٠٢٤-٠٩-٠٧/?utm_source=chatgpt.com

المواقع الالكترونية باللغة الإنجليزية:

٦٢. Archive, Social and Cultural Dynamics, Pitirim Sorokin, https://archive.org/details/socialculturaldy٠٠١soro.

٦٣. Community in Mission, the eight stages of the rise and fall of civilizations, Msgr. Charles Pope, ١٢ oct ٢٠١٦, https://catholicconvert.com/the-eight-stages-of-the-rise-and-fall-of-civilizations/.

٦٤. Continuations, Joseph Tainter: The Collapse of Complex Societies Book Review, Albert Wenge, ٣٠ may ٢٠٢٢, https://continuations.com/joseph-tainter-the-collapse-of-complex-societies-book-review

٦٥. Foreign Affairs, Why Empires Fall: Rome, America, and the Future of the West, G.John Ikenberry, December ١٢, ٢٠٢٣, https://www.foreignaffairs.com/.

٦٦. Foreign Affairs, Why Empires Fall: Rome, America, and the Future of the West, John Ikenberry, December ١٢, https://www.foreignaffairs.com/

٦٧. Icar.cnrs.fr, STRUCTURAL ANALOGY, Christian Plantin, October ٢٠٢١, https://icar.cnrs.fr/dicoplantin/analogy-iii-structural-analogy

٦٨. In-Between Two Worlds, Tytler's Cycle, S. Tomalin, ١٨ May ٢٠١٤, https://www.in-between.org.uk.

٦٩. Medium, The Cycle of Civilization Showing Defining Characteristics for Each Phase of the Cycle, Michael Haupt, Oct ١١, ٢٠٢٢, https://medium.com/society٤/the-cycle-of-civilization-٩f٩٦b٩٤٥٣c٨٩.

٧٠. MIT Press Direct, Back to Bipolarity: How China's Rise Transformed the Balance of Power, Jennifer Lind, October ٠١ ٢٠٢٤, https://direct.mit.edu/isec/article/٤٩/٢/٧/١٢٥٢١٤/Back-to-Bipolarity-How-China-s-Rise-Transformed?utm_source=chatgpt.com

٧١. Sada Elbalad English,Al-Azhar Grand Imam Calls to Foster Unity Among Islamic Schools of Thought,١٩/٢/٢٠٢, https://see.news/al-azhar-grand-imam-calls-to-foster-unity-among-islamic-schools-of-thought?utm_source=chatgpt.com

٧٢. UNITED CHURCH Of GOD, The Life Cycles of Empires: Lessons for America Today, Eric Snow, ٦-٢٠١١, https://www.ucg.org/good-news/good-news-magazine-july-august-٢٠١١/life-cycles-empires-lessons-america-today

الملاحق

ملحق (١) تحليل للنظريات والدراسات السابقة بحسب الأبعاد التسعة لنظريتنا

النظرية والدراسة	بُعد المرحلية	بُعد التكرار والتجدد	بُعد روح الأمة	بُعد عدم تحديد تواريخ وزمن محدد	بُعد الارتباط مع الأمة المقابلة	بُعد وجود خيارات للأمة تحدد من خلالها مسارها	بُعد مجال التطبيق	بُعد الاختصاص بأمة محمد صلى الله عليه وسلم	بُعد إمكانية الاستخدام
نظرية ابن خلدون (١٣٩٤)	خمس مراحل: الغلبة والملك، الاستبداد بالملك، الفراغ والدعة، السكون والمسالمة، الاسراف والتبذير	الدورة متكررة وممكن تجددها	العصبية القبلية والدينية	حدد عمر الدورة ب ١٢٠ سنة في ثلاثة أجيال كل جيل ٤٠ سنة	لم يتطرق للارتباط بين الأمتين بالمعنى الذي نقصده في دراستنا	المراحل حتمية التتابع والأمة لا تملك خيار مسارها بل هي مضطرة للمرور بتلك المراحل	تنطبق على الدول والقبائل والأمة بمعناها القومي ولكنها لا تنطبق على الأمة بالمعنى الذي يتشابه مع دراستنا	تختص هذه النظرية ببلدان ودول ومجتمعات معينة كجزء من الأمة الإسلامية ولا تنطبق على الأمة بمعناها الكلي الذي تقصده دراستنا	قابلة للاستخدام في التحليل والتنبؤ
دراسة فيكو (١٧٤٤)	ثلاث مراحل: اللاهوتية، البطولة، البشرية	الدورة في نظر فيكو متجدده	اللغة والاساطير والرموز والدين البدائي	لم يحدد زمن للدورة ولا للمراحل	لم يتطرق للارتباط بين الأمتين بالمعنى الذي نقصده في دراستنا	المراحل حتمية التتابع والأمة لا تملك خيار مسارها بل هي مضطرة للمرور بتلك المراحل	تنطبق هذه النظرية على الأمم بالمعني الذي يتشابه مع دراستنا	تختص بالحضارة اليونانية والرومانية والعصور الوسطى للمسيحية الأوربية	صعوبة استخدامها في التحليل والتنبؤ لاعتمادها على الاساطير
نظرية ألكسندر تايتلر (١٨١٣)	ثمان مراحل: العبودية، الايمان الروحي، الشجاعة العظيمة، الحرية، الوفرة، الرضا عن النفس، اللامبالاة، الاعتماد	الدورة متكررة وممكن تجددها	الايمان الروحي	لم يحدد زمن للدورة ولا للمراحل	يظهر الارتباط بين الأمتين من خلال التسمية المنطبقة	المراحل حتمية التتابع والدورة مغلقة وكأنها قانون حتمي	تنطبق على الأمم بالمعنى الذي تقصده دراستنا	النظرية تقدم وعظا تحذيريا عاما ولم تقصد تقديم نموذج لحياة أمة من الأمم	قابلة للاستخدام في التحليل والتنبؤ
نظرية أوزوالد اشبينغلر (١٩٢٣)	أربع مراحل: الطفولة ، الشباب، الكهولة، الشيخوخة	النظرية تشاؤمية فهي ترى السقوط حتمي فكما يستحيل إعادة مرحلة الشباب يستحيل تجدد الحضارة	روح الحضارة القوة الإبداعية الجماعية ورمزها الأول الذي يوجهها للاستمرار	يرى بأن الدورة تستغرق ١٠٠٠عام	نفى مطلقا ارتباط الحضارات فالنظرية تتبنى القطيعة بين الحضارات	المراحل حتمية التتابع كمراحل الفصول الأربعة ولا حيلة للحضارة في تحديد مسارها	النظرية تتطبق على الحضارة ككيان ثقافي وليس على معنى الأمة الذي تشير إليه دراستنا	على الرغم من وضعها كقانون عام لكل الحضارات إلا أنها التركيز كان على تشخيص الحضارة الغربية	يمكن استخدامها في التحليل والتنبؤ

النظرية والدراسة	بُعد المرحلية	بُعد التكرار والتجدد	بُعد روح الأمة	بُعد عدم تحديد تواريخ وزمن محدد	بُعد الارتباط مع الأمة المقابلة	بُعد وجود خيارات للأمة تحدد من خلالها مسارها	بُعد مجال التطبيق	بُعد الاختصاص بأمة محمد صلى الله عليه وسلم	بُعد إمكانية الاستخدام
نظرية بيتريم سوروكين (١٩٣٧)	الحضارة تتناوب بين ثلاث انساق ثقافية هي: الروحية والمثالية والمادية	الدورة متكررة	الثقافة هي المحرك الأساسي للحضارة	لم يحدد تواريخ وزمن معين لكل مرحلة	لم يتم الإشارة لهذا الارتباط	الأنساق الثقافية كالقوانين حتمية الوقوع ليس للمجتمع أن يمنعها ولكنه قد يؤثر على توقيت التحول	تنطبق على الجانب الثقافي لكن الثقافة هي الجوهر وباقي الجوانب تعتبر انعكاس للنسق الثقافي	أنشأ هذه النظرية لتعميمها على جميع الحضارات ولكنه استخدم الحضارة الغربية كتطبيق للنظرية	يمكن استخدامها في التحليل والتنبؤ
نظرية أرنولد توينبي (١٩٥٧)	أربع مراحل: النشأة، النمو، التفكك، الزوال	يمكن تتجدد فما تتركه الحضارة خلفها بعد انهيارها يمكن أن يشكل نواة لنشأة حضارة جديدة	لا يستخدم توينبي الروح بشكل صريح ولكنه يرى بأن للحضارة هويتها التي تنشأ من الاستجابة الأولى حيث تتولد منها القيم والمؤسسات والتي تشكل هوية الحضارة وروحها.	تنطبق مع دراستنا حيث لم يحدد زمن محدد لتلك المراحل فالنظرية محاولة تفسير لكيفية حدوث تلك الدورة وليس للمدة التي تستغرقها	أشار توينبي بأن الحضارة الجديدة غالبا ما تنشأ من ركام ومخلفات الحضارة المنهارة، ونظريته تشير إلى أن الحضارة القوية تعتبر تحدى للثانية.	للأمة خيارات تحدد بها مسارها حيث أن مراحل الدورة ليست حتمية بل هي تاريخ من النجاح والفشل في الاستجابة للتحديات	تنطبق على الحضارة بالمعنى الذي يشابه الأمة في دراستنا، حيث أن الحضارة عند توينبي هي المجتمعات الكبيرة	تم بناء هذه النظرية لتكون أداة تحليلية يمكن تطبيقها على جميع الحضارات فهي لا تختص بحضارة واحدة، حيث قام بدراسة ٢١ حضارة منها المصرية القديمة والرومانية والإسلامية والغربية. الخ	يمكن استخدامها في التحليل والتنبؤ
نظرية كويجلي (١٩٦٤)	تمر الحضارة بسبع مراحل: المزج والحضانة والتوسع والصراع الداخلي والامبراطورية والانحلال والغزو	الانهيار ليس حتمي بل يرى بأن الحضارة قد تتجدد وتعيد تشكيلها	أداة التوسع هي المحرك الرئيسي للحضارة وهي إما عسكرية أو دينية أو اقتصادية	لم يحدد فترة زمنية للمراحل وقد تختلف المدة من حضارة لأخري بحسب أداة التوسع	لم يتم الإشارة لهذا الارتباط	الحضارة لها خيارات تحدد بها مسارها ويكمن خياراتها في قدرتها على تحديد أداة التوسع	تنطبق على الأمة فلفظ الحضارة عند كويجلي هو المجتمع المنتج الذي يملك وسيلة للتوسع	يرى تعميمها لكل الحضارات وليست خاصة بأي حضارة فقد جرى تجربتها من خلال تحليل خمس حضارات	يمكن استخدامها في التحليل والتنبؤ

النظرية والدراسة	بُعد المرحلية	بُعد التكرار والتجدد	بُعد روح الأمة	بُعد عدم تحديد تواريخ وزمن محدد	بُعد الارتباط مع الأمة المقابلة	بُعد وجود خيارات للأمة تحدد من خلالها مسارها	بُعد مجال التطبيق	بُعد الاختصاص بأمة محمد صلى الله عليه وسلم	بُعد إمكانية الاستخدام
نظرية ميلكو (١٩٦٩)	تمر الحضارة من خلال ثلاث أشكال تنظميه: النظام الاقطاعي ثم نظام الدولة ثم نظام الإمبراطورية	هناك فرصة للعودة في حال مرت الحضارة بمرحلة التجمد وليس بالتفكك	لم يحدد للحضارة روح داخلية بل يرى بأن الحضارة نظام معقد من مكونات متعددة	الفترة الزمنية بين الانهيار والبداية حوالى ٤٠٠ عام	لم يتم الإشارة لهذا الارتباط	تمر الحضارة بهذه المراحل متتابعة وللأمة خيار في تحديد مسارها في المرحلة الأخيرة إما أن تتفكك كليا أو تتجمد ويكون معها فرصة للعودة	لفظ الحضارة عنده يعني المجتمعات الكبيرة وبالتالي فينطبق على معنى الأمة	قدم نموذج ينطبق على جميع الحضارات بدون تحديد	يمكن استخدامها في التحليل والتنبؤ
نظرية مالك بن نبي (١٩٧٣)	ثلاث مراحل: الروح، العقل، الغريزة	الدورة قابلة للتجديد فالحضارة اذا امتلكت الفكرة الدينية يمكن تعود بعد الانهيار	الفكرة الدينية	تنطبق مع دراستنا حيث لم يحدد زمن للدورة ولا للمراحل	لم يتطرق للارتباط بين الأمتين بالمعنى الذي نقصده في دراستنا	يرى بحتمية التتابع بين المراحل إلا أنه يؤكد بخيارات للأمة في مرحلة السقوط فلديها خيار السقوط أو النهوض والتجدد من جديد	نظرية مالك بن نبي تختص بالجانب الحضاري وليس بالأمة بمعناها الذي تقصده دراستنا	هذه النظرية تختص بالحضارة الإسلامية	يمكن استخدامها في التحليل والتنبؤ
دراسة غلوب باشا (١٩٧٨)	سبع مراحل: الانبعاث أو الرواد، الفتوحات، التجارة، الثراء، الفكر والعلم، الترف والانحلال، التراجع والانهيار	الإمبراطورية لها دورة حياة واحدة ثم تأتي غيرها من القوى، فالدورة تتجدد لكن بإمبراطوريات جديده	دورة الحياة ليس لها روح واحده حيث جعل لكل مرحلة روحها الخاصة	حدد متوسط عمر الدورة ٢٥٠ عام تقريبا عشرة أجيال	لم يتم الإشارة لهذا الارتباط	مراحل الدروة متتابعة ولا خيار للأمة في تحديد مسارها	الدورة تنطبق على الامبراطوريات بالمفهوم الذي يشابه معنى الأمة في دراستنا	هذه الدورة يمكن تعميمها على كل الامبراطوريات، حيث بنى هذه النظرية بدراسة ١١ إمبراطورية كالآشورية والفارسية والعربية والرومانية والمغولية والعثمانية والاسبانية والروسية والبريطانية	يمكن استخدامها في التحليل والتنبؤ
نظرية جوزيف تاينتر (١٩٨٨)	النظرية لم تصغ نموذج لدورة حياة له مراحل	لم تتطرق لبعد التجدد	التحدي والاستجابة	لم يتم تحديد بعد زمني	من خلال نظرية التحدي والاستجابة يمكن القول بأن هناك ارتباط بين الأمتين	صاغت النظرية فكرة أن الاستجابة لدى الأمة للتحديات يحدد مسارها	تنطبق على المجتمعات المعقدة بالمعنى الذي يشابه لفظ الأمة في دراستنا	النظرية تم تصميمها لتنطبق على جميع الأمم	يمكن استخدامها في التحليل والتنبؤ

النظرية والدراسة	بُعد المرحلية	بُعد التكرار والتجدد	بُعد روح الأمة	بُعد عدم تحديد تواريخ وزمن محدد	بُعد الارتباط مع الأمة المقابلة	بُعد وجود خيارات للأمة تحدد من خلالها مسارها	بُعد مجال التطبيق	بُعد الاختصاص بأمة محمد صلى الله عليه وسلم	بُعد إمكانية الاستخدام
دراسة بيتر ورابلي (٢٠٢٣)	لم تتطرق لمراحل الدورة كامل ركزت على عوامل الصعود وعوامل الانهيار	لم تتطرق لبعد التجدد	لم تتطرق الدراسة لهذا البعد	لم يتم تحديد بعد زمني	تركز على الكشف عن أوجه التشابه في أنماط الصعود والهبوط بين روما القديمة والغرب الحديث	من خلال التوصيات يتضح أن النظرية ترى بوجود خيارات للأمة في تحديد مسارها	تنطبق على الامبراطوريات بالمعنى المتشابه مع معنى الأمة الذي في دراستنا	الدراسة خاصة بالغرب الحديث	يمكن استخدامها في التحليل والتنبؤ

حقوق النشر والتصميم محفوظة

2026م

لقد كانت دراسة صعود الأمم وسقوطها محل اهتمام كثير من الباحثين والعلماء، وقدموا في هذا المجال نظريات ودراسات دقيقة، ونحن بحاجة للبناء على تلك الجهود لكي نطور نموذجا واضحا ومتكاملا لدورة حياة أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وثقتي بالله وتوكلي عليه أن تكون هذه المحاولة مفتاح خير لهذه الأمة المباركة.

والهدف الرئيسي لهذه الدراسة هو: بناء نموذج علمي لدورة حياة أمة محمد ﷺ، نستطيع من خلاله:

١. تقديم إطار منطقي وبسيط، يُسهل فهم المراحل المعقدة التي مرت بها أمة محمد صلى الله عليه وسلم خلال تاريخها الطويل.

٢. تحديد المرحلة التي تعيشها أمة محمد ﷺ اليوم لكي تعمل على ترتيب أولوياتها بحسب متطلبات مرحلتها الحالية.

٣. التنبؤ بالمراحل القادمة لأمة محمد ﷺ فتعمل على التخطيط لذلك المستقبل وتنجح في وضع الاستراتيجيات المناسبة.

المؤلف

نموذج دورة حياة أمة محمد صلى الله عليه وسلم

ISBN 979-8-2556-1383-0

ArabBook.Com
مكتبة الكتاب العربي